أبونا بيشوي كامل

والحياة الأنجيلية



القمص تادرس يعقوب ملطي

أبونا بيشوي كامل والحياة الإنجيلية[1]

أو

سلوكنا في المسيح يسوع

مارس ٢٠٢٢

القمص تادرس يعقوب ملطي

[1] هذا الكتاب هو محصلة بعض النبذات التي صدرت بعد نياحة أبينا بيشوي مع مراجعتها والقيام بإضافات إليها.

بسم الآب والابن والروح القدس

الإله الواحد آمين

الكتاب: أبونا بيشوي كامل والحياة الإنجيلية.

المؤلف: القمص تادرس يعقوب ملطي.

رسم وتصميم الغلاف: م.د. مينا أنطون

رسومات إيضاحية: م. ماريان بركات - م. بارثينا عماد - م. مينا ملاك

الناشر: كنيسة مارجرجس باسبورتنج.

الطبعة: الأولى ٢٠٢٢.

المطبعة : Antonia

Cairo-Egypt : 01552634444

01271500444

01271222700

US Branch : +17326755551





قداسة البابا المعظم

الأنبا تواضروس الثانى

(١١٨)

١

الأتقياء المعاصرون وسلوكنا في المسيح

أتقياء في كل عصرٍ معروفون وغير معروفين

كان إيليا النبي مُرّ النفس من أجل أحوال الشعب في عصره، وما قامت به الملكة الوثنية إيزابل والملك أخاب من مقاومة لعبادة الله الحيّ وقتل الأنبياء ونشر عبادة البعل. ظن إيليا أنه لم يعد من يَغِير على مجد الله سواه، فطلب من الرب أن يأخذ نفسه (١ مل ١٩: ١٠). أكَّد له الرب أنه يوجد سبعة آلاف رجل لم يحنوا ركبة لبعل (١ مل ١٩: ١٨)، لا يعرفهم أحد سواه. إنهم فئة اللامعروفين للبشر. هكذا كثيرًا ما يظن البشر في كل جيلٍ كما لو لم يوجد بعد أناس أتقياء، مما يدفع البعض إلى حالة من اليأس. لهذا في كل جيلْ يُبرز الله قلة قليلة كشهودٍ أمناء للحق الإلهي. بينما يوجد كثيرون يُعرفون بفئة اللامعروفين، إنهم يشبهون ثمارًا كثيرة ناضجة مخفية وراء أوراق شجرة، يمجدهم الرب في يوم مجيئه الأخير.

العجيب مع وجود كثيرين من الأتقياء اللامعروفين، يوجد أيضًا أتقياء سقطوا في ضعفات مُرّة، قد يتعثّر البعض بسببهم، لكنهم بتوبتهم صاروا عظماء في عيني الرب، على رأسهم داود النبي والملك الذي كان قلبه حسب قلب الله، "اذ قال وجدت داود بن يسى رجلاً حسب قلبي، الذي سيصنع كل مشيئتي" (أع ١٣: ٢٢). لم يستنكف ربنا يسوع من أن يُدعى "ابن داود" (مت ١٥: ٢٢). هذا ما يدفعنا ألا نحكم على إنسانٍ ما أو ننتقده، حتى وإن كانت سقطته واضحة واعترف بها، فبتوبته الخفية أو الظاهرة ينضم إلى أعمدة مقدسة في الفردوس، مثل راحاب الزانية وراعوث الموآبية اللتين تأهلتا أن يُسجل اسميهما في نسب السيد المسيح (مت ١: ٥)، والقديس الأنبا موسى الأسود الذي تأهل أن يصير قائدًا عظيمًا ووديعًا في الحياة الرهبانية.

تسجيلنا لبعض سلوكيات وأفكار آبائنا وإخوتنا المعاصرين لنا، لا يهدف إلى دعوتهم قديسين، فهذا ليس من تخصصنا، وإنما لكي ندرك أن السلوك في المسيح يسوع ليس مستحيلاً في عصرنا، كما في العصور المقبلة.

كنيسة السيد المسيح تضم أناسًا أتقياء وأبرار نقتدي بهم، مخفيين كي نمجد الله العامل بنعمته في كل العصور. هذا من جانبٍ ومن جانب آخر لا نحكم على أحد بالقداسة أو بالشر، فلن يعرف أحد ما بالقلوب سوى الخالق مخلص البشر العجيب.

فما سجلته عن أبينا الحبيب غايته الأولى والأخيرة أن نسلك نحن في المسيح يسوع، لنكشف عن

بركة عمل المسيح في حياته وأيضًا نطلب صلواته عنا في الفردوس، ونشتهي أن يكون لنا نصيب معه**!**

الرسول بولس يدعونا إلي السلوك بالروح أو السلوك في المسيح:

ما يشغلنا في أحاديثنا عن الأتقياء في العصور الأولى وأيضًا المعاصرين لنا أن نسلك في مسيحنا أو كما يقول الرسول بولس نسلك في الروح.

"لأننا نحن عمله مخلوقين في المسيح يسوع لأعمال صالحة قد سبق الله فأعدها **لكي نسلك فيها**" (اف ٢: ١٠).

"فكما قبلتم المسيح يسوع الرب **أسلكوا فيه**" (كو ٢: ٦).

"إن كنا نعيش بالروح، **فلنسلك أيضًا بحسب الروح**" (غل ٥: ٢٥).

"لأننا نحن عمله مخلوقين في المسيح يسوع لأعمال صالحة قد سبق الله فأعدها، **لكي نسلك فيها**" (أف ٢: ١٠).

"وأما ما قد أدركناه **فلنسلك بحسب ذلك القانون عينه** ونفتكر ذلك عينه" (في ٣: ١٦)

"إذ أنتم تعرفون كيف يجب أن يتمثل بنا، لأننا **لم نسلك بلا ترتيب** بينكم" (٢ تس ٣: ٧).

حياة نامية في الرب لكاهنٍ معاصرٍ

سمح لي إلهي أن التقي بالأخ المبارك سامي كامل اسحق (أبونا بيشوي كامل) في عام ١٩٥٣ م في بدء دراستي الجامعية بالإسكندرية، وكان في ذلك الوقت خادمًا بكنيسة العذراء مريم بمحرم بك، صار فيما بعد أمينًا للتربية الكنسية بالكنيسة وبمدرسة المرقسية الإعدادية بمحرم بك.

اتسم سامي كامل بالقلب المفتوح بالحب مع الحكمة ويلازمهما حياة البساطة. ظهرت فضائله وقدراته الروحية لجميع الذين يلتقون به، وكانت شخصيته جذابة للمؤمنين وغير المؤمنين.

بعد رسامته كاهنًا على كنيسة الشهيد مار جرجس باسبورتنج تلألأ نجمه أكثر فأكثر، خاصة بعد رحيله من هذا العالم. فالموت لم يحجبه عنا، بل شعرنا بصلواته وشفاعته أمام الله في الفردوس. فلا أبالغ إن قلت إن كثيرين ممن التقوا به واشتركوا معه في الخدمة لازالوا يشعرون أنه أقرب إليهم مما كان عليه سواء في شبابه أو في خدمته الكهنوتية، في مصر أو في أرض المهجر.

ما هو سرّ نجاحه منذ صباه؟

منذ تعَّرفت عليه أحسست أنه مهتم بمنهج حياته منذ صباه، وجاءت حياته في شبابه امتدادًا لصبوته، وبعد ذلك جاءت حياته الكهنوتية امتدادًا لحياته كشابٍ.

أدرك سامي كامل (القمص بيشوي كامل) منذ صباه أن الله خلق الإنسان سيدًا على الخليقة الأرضية، وموضع إعجاب السمائيين، وموضع حب واعتزاز ملك الملوك خالق السماء والأرض. لم يخلق الله الإنسان مُصادفة، بل كان في ذهنه، الذي في حبه له يود أن يرفعه إلى السماء ليحيا في شركة معه إلى الأبد.

ما هو منهج حياته؟

أولًا: ما كان يشغله في كل حياته علاقته بمحبوبه الله، الثالوث القدوس:

أ - كان يتميز ببنوته للآب القدوس، فيحيا كابن ملك الملوك. يركز عينيه لا على مجرد الخلاص من خطاياه، بل ويحيا بما يليق به كملكٍ يتمتع بالبنوة لملك الملوك. ويليق به أن يسلك في المسيح يسوع (كو ٢: ٦).

ب - كان أبونا الحبيب يركز في أحاديثه على كلمة الله المتجسد، مخلص العالم القدوس، الذي بتجسده يحملنا فيه ويقدَّس أجسادنا وعقولنا وأرواحنا وعواطفنا وأحاسيسنا، بل ويقدّس جهادنا بنعمته، وعبادتنا من أصوام ومطانيات وتأملات الخ.

ج - كان متمسكًا بقيادة روح الله القدوس له، لهذا لم يتوقف قلبه وفكره عن الصلاة بصوتٍ مسموعٍ كما بالصمتِ. أدرك أن روح الله القدوس قادر وحده أن ينطلق به من مجدٍ إلي مجدٍ (٢ كو ٣: ١٨)، مختبرًا عربون السماوات وهو بعد في الجسد.

ثانيًا: وضوح الهدف: كان دائم التفكير في هدفه في الحياة ليسلك حسب خطة الله له بدون انحراف.

أ - كان لا يمارس شيئًا اعتباطًا، حتى ابتسامته التي غالبًا لم تكن تفارقه. في زياراته يحرص **ألا يتحدث في سياسة العالم أو سياسة الكنيسة.** أذكر أنه حدثت مشكلة بين شاب مدعو للكهنوت وزوجته، وتأثر بها كثيرون بالإسكندرية. ولما كانت الزوجة ابنة أبينا بيشوي روحيًا، طلب قداسة البابا شنودة مقابلته، فطلب مني أن أذهب معه. سأله البابا: "ما هي قصة هذا الخلاف بين الشاب وزوجته؟"

أجابه: "حاللني يا سيدنا، إنها هذه القصة أكبر مني". قال له: "لكن الزوجة بنتك في الاعتراف". قال أبونا: "هي بنتي في الاعتراف، لكن أب اعترافي طلب مني ألا أتحدث في هذا الأمر، لأنه أكبر مني". تعجب قداسته لهذه الإجابة، وخلال الحديث الهادئ عولجت المشكلة دون أن ينتقد أبونا بيشوي أي من الطرفين أو عائلتيهما.

حِرصْ أبونا بيشوي على الاهتمام بخلاص نفسه وخلاص الآخرين دفعه أن ينصحني في بدء خدمتي إلا أتحدث في الزيارات على مشروعات الكنيسة أو أنشطتها أو عن البابا أو الكهنة، إنما ما

يشغلنا هو رسالة الإنجيل المفرحة.

ب ـ ما كان يحرص عليه هو **كلمة الله والسلوك في المسيح يسوع** (كو ٢: ٦).

ج ـ في التعامل معه يشعر الإنسان أنه يتمتع **بالتجديد المستمر**، فكان يمارس دومًا ما نردده في صلاة باكر: "لنبدأ بدءًا حسنًا". ففي كل صباح يشعر المؤمن كأنه أول يوم فيه يتمتع بالحياة في المسيح يسوع، فلا يعاني المؤمن من الملل.

د ـ اهتمامه المستمر **بالجانب التعليمي:** حياته هي سلسلة من الخلوات مع الله والدراسة اليومية في كلمة الله وكتابات الآباء. كان مهتمًا بالنمو في المعرفة ومساندة الآخرين في هذا المجال.

هـ ـ كان محبًا للتسبيح والألحان بفكرٍ نقيٍ وفهم ومعرفة. مع اعتزازه باللغة القبطية يحرص بكل حزمٍ مع الشمامسة على شركة الشعب في التسبيح، خاصة باللغة العربية ما أمكن، لكي يسبحوا بالروح كما بالذهن (١ كو ١٤: ١٥).

و ـ مع اهتمامه بالقراءة كان محبًا للتعليم، يُعَّلم بفكرٍ روحيٍ حيّ، دون الدخول في مناقشات جافة مفسدة للوقت. ومع ضيق وقته الشديد لم يتوقف عن الكتابة.

ز ـ حرصه على الحياة الكنسية المستقيمة يظهر ذلك في اهتمامه بإبراز الفكر الإنجيلي في حياة القديسين كما في الأعياد والأصوام. كتاباته وعظاته تحمل تفسيرًا لترتيب المناسبات خلال السنة القبطية بطريقة روحية تبث روح الرجاء والفرح في الرب عبر السنة كلها. في عام ١٩٧٠ فوجئت عند ذهابي إلى لوس أنجيلوس لاستلم الخدمة منه، أنه كان يقوم بتوزيع صورة البابا كيرلس السادس علي الجميع. سألته: "لم أراك تقوم بهذا العمل في الإسكندرية، فلماذا تفعل هذا في أرض المهجر؟ أجابني: "في مصر حتى الأطفال الصغار يعرفون الكنيسة والبابا الخ.، أما هنا فأخشى أن تفقد الكنيسة في الأجيال القادمة علاقتها بالكنيسة الأم، لهذا يليق أن يرتبط الكل بها من خلال معرفتهم وحبهم لقداسة البابا في المسيح يسوع.

في الفترة التي وجد فيها خلاف بين قداسة البابا كيرلس والأب متى المسكين، سألته: "ما رأيك في أبينا متى المسكين؟" أجابني هكذا: "مع محبتي الشخصية لحياة الأب متى المسكين ولكتاباته، فإن محبتي للكنيسة تدفعني للحب الشديد للبابا كيرلس، إذ يمثل الكنيسة". بهذا كان محبًا للاثنين دون تجاهل أي طرفٍ منهما.

ح ـ كان **اهتمامه** بخلاص نفسه يدفعه **إلى الاهتمام بخلاص كل إنسان في العالم.** كان قلبه ملتهبًا بالحب الحقيقي لمن يعرفهم ومن لا يعرفهم. هذا الحب لم يتوقف في حياته حتى بعد رحيله من هذا العالم. بعد نياحته بفترة قصيرة التقى أبونا لوقا سيداروس بفتاة تتجه نحو مزار أبينا بيشوي وهي تبكي

بشدة. سألها عن سبب بكائها، فقالت له إنها كانت تحب شابًا غير مسيحي. وفي كل مرة تعترف عند أبينا بيشوي تتركه، وبعد نياحته رجعت إليه. في المساء إذ نامت رأت أبانا بيشوي يتحدث معها بحزمٍ وقد صفعها على وجهها، الأمر الذي لم تره قط منه، وقال لها: "ألم أقل لك أن تتركيه؟" وقد جاءت بروح التوبة تطلب صلاته وتعهدت أن تترك تلك العلاقة الأثيمة.

ط - عُرف باهتمامه بالاحتفال الروحي بأعياد السمائيين والقديسين وصداقته معهم. عند ظهور القديسة مريم على قباب كنيستها بأرض الزيتون لفترات طويلة، كان متى سأله أحد إن كان قد ذهب إلى الكنيسة ليراها عند ظهورها، كان يجيب: "إنني أراها في القداس الإلهي، وهي تسند الكثيرين."

ي - لم يشغل وقته في التنظيمات والإداريات الكنسية، إنما كان بالأكثر يرفع قلبه لله طالبًا قيادته للكنيسة كلها بروحه القدوس. عدد المرات التي اجتمع فيها مع لجنة الكنيسة قليلة. لم يشترك قط في انتخابات للجنة الكنيسة سواء في مصر أو في الخارج، وكان يحسب كل الشعب هو لجنة الكنيسة يعملون لبنيانها في الرب.

أرسل يومًا ما مع أحد المحتاجين ورقة للمسؤول عن الفقراء يسأله أن يدفع له ١٢٠ جنيهًا، وكان في ذلك الوقت يُحسب مبلغًا كبيرًا. وإذ قدم المحتاج هذه الورقة للمسؤول، قال له المسؤول إنه سيرسل أخصائي اجتماعي يدرس حالته. عاد المحتاج إلى أبينا الذي كان يعلم ظروف المحتاج تمامًا، فدفع له أبونا المبلغ. كنت في بداية خدمتي الكهنوتية، فجاءني يروي لي ما حدث، ثم قال لي: "لا تُرسل أي محتاج إلى هذا الشخص (وهو من اللجنة)، وإذا شعرت أن إنسانًا محتاج سأعطيك احتياجه لأن ربنا يرسل لي الكثير لخدمة العائلات المستترة".

ك - لا يشغله أن تمتلئ كنيسة مار جرجس باسبورتنج بالمصلين، إنما بالأكثر يشغله أن يلتقي كل إنسان بالله ويمارس عبادته بروح كنسية صادقة، لهذا لم يكف عن إقامة كنائس حتى إن كانت ملاصقة لكنيسة مار جرجس. كان يطلب من كل قلبه خلاص كل إنسانٍ ونموه في الرب، دون الدخول قط في منافسة مع كنائسنا الأخرى.

ل - أما عن محبته العجيبة، فإن سألت أحدًا ممن كان يلتقون معه يجيبك بأنه يشعر كأن أبانا قد مّيزه بالحب أكثر من الجميع. يشعر كل ممن يلتقي به أنه في نظر أبيه القمص بيشوي فريدًا، وله مكانة فريدة في قلب أبينا.

كيف حقق أبونا بيشوي منهجهٍ؟

العامل الرئيسي لنجاحه هو إدراكه الإمكانيات الإلهية التي تُقدم للمؤمن خلال **صليب** رب المجد وقيامته وصعوده والوعد بمجيئه الثاني علي السحاب. لهذا كان الصليب مركز تفكيره وأحاديثه، يرى

في الصليب مفتاح الفردوس، ومصدر تعزية كل مؤمنٍ في آلامه وجهاده ودراسته للكتاب المقدس وتوبته الخ. ويرى في قيامة المسيح مصدر رجائه في الخلاص وتهليل نفسه وشركته مع السمائيين كخورس سماوي وتمتعه بعربون السماويات. وفي صعود السيد المسيح إلى السماء الانطلاق من حرفية العالم إلي السلوك بالروح والانطلاق من مجدٍ إلى مجدٍ. أما في وعد المسيح بمجيئه على السحاب فيرى فيه الالتزام بالشكر، لأن مسيحنا يقدم لنا إمكانيات اختبار الحياة الملائكية والثقة في أن ملكوت الله قائم فيه وأن المجد الأبدي هو امتداد لما يختبره هنا كاهن الموعد!

كيف تمتع أبونا الحبيب بالنمو في الرب والنمو في حياة القداسة؟

مع اهتمامه الشديد لاقتناء حياة القداسة، لم يضع برنامجًا حرفيًا في هذا الشأن، وإنما تمتع بذلك خلال حبه الشديد للمُخَلص وحرصه الدائم على التمتع بعمل الثالوث القدوس في حياته، هذا مع اتّساع قلبه لمحبة من يعرفهم ومن لا يعرفهم، لينعموا بالميراث الذي يُعده الله لمؤمنيه. أود هنا أن أقدم لمسات عملية في حياته ألهبت قلبه بالنمو في القداسة وممارستها خلال نعمة الله الفائقة.

١. إيمانه بعمل الروح القدس **بالتجديد المستمر** في حياة المؤمن الجاد في جهاده الروحي، لهذا يندر أن تراه لا يحمل معه الكتاب المقدس وبعض كتابات الآباء الأولين، لا يفعل ذلك ليجمع كلمات للمناقشة الفكرية الجافة، وإنما كان يرفع قلبه لله ليضمه مع أناس الله المهتمين بخلاصهم وخلاص إخوتهم في البشرية.

٢. كانت كل تصرفاته هادفة، حتى ابتسامته وأحاديثه وقرع صدره وصومه الخ.

٣. يصغي للشيخ كما للشاب والطفل، فينتفع من كل شخصٍ في بناء نفسه في المسيح يسوع، ويتعلم من السالكين بالروح كما من الساقطين كي لا يسقط معهم.

٤. اهتمامه ببنيان أعماقه الداخلية، فكان يحرص على الذهاب إلى المدافن وأيضًا إلى بيت أخته بجوار الكنيسة أسبوعيًا ويجلس في الشمس في الصباح يتمتع بكلمة الله، ويكتب ما يفكر فيه.

٥. من عاداته الجميلة سواء قبل الكهنوت أو بعده كان يحرص على تكوين صداقة مع مجموعة من الخدام الذين تخرجوا في الجامعة بمعدل مرة كل أسبوعين يجتمعون في بيت أحدهم. وكانوا في هذه الجلسات غالبًا ما كانوا يرددون لحنًا كنسيًّا، ويقرأون في الكتاب المقدس، ويناقشون موضوعًا روحيًا بنّاءًا، وغالبًا ما ينتهي الاجتماع بالاتفاق على تدريب روحي يلتزمون به جميعًا.

٢

القمص بيشوي كامل المؤمن المثالي

رائحة المسيح الذكية

تبقى سيرة أبينا الطوباوي بيشوي كامل تبعث بهاءً يتزايد مع الزمن. ويتساءل البعض ممن لم يعاصروه، كيف عاش هذا الأب القائد المثالي بلمسات قيادية سماوية، جذبت ولا تزال تجذب الكثيرين إلى العمل لحساب ملكوت السماوات بفرحٍ وتهليل قلبٍ تعتز به السماء، هذا ما دفعني لتقديم صورة عملية لخدمته المثالية تقتدي بها الأجيال.

مبادئ أساسية في حياة أبينا بيشوي كامل

١. **الالتزام بالإيجابيات لا السلبيات:** اتسم أبونا الحبيب القمص بيشوي سواء في أحاديثه الشخصية أو عظاته أن يقدم ما هو إيجابي ومُفرح في الرب في معالجته للأخطاء السلوكية وفي توجيهه اللاهوتي والإنجيلي. أذكر على سبيل المثال حينما يتحدث عن شفاعة القديسين مع من يهاجمون الشفاعة، لا يدخل في مناقشات جافة، إنما يتحدث عن الله بكونه محبة (١ يو ٤: ٨، ١٦). يسكب الله هذه السمة على من يؤمنون به ويلتصقون به. فالحب في حياة المسيحي يتحدى الموت، فلا يستطيع الموت أن ينزع شهوة قلب الرسول بولس لخلاص البشرية. تمتعه ببهاء المسيح في الفردوس يلهب قلبه بالأكثر أن يطلب من الرب أن يعمل روحه القدوس في كل نفسٍ في العالم وفي الأجيال المقبلة، بل يشتهي أن يشرق السيد المسيح عليهم، فيطلب هو والسمائيون والمؤمنون الذين رحلوا إلى الفردوس، والذين يجاهدون على الأرض من أجل خلاص كل البشر.

٢. **اتساع قلوب مخدوميه بالحب لخلاص الكل:** منذ عدة سنوات سأل أحد الآباء الكهنة كاهنًا من كنيسة الشهيد مار جرجس، قائلاً: "في زيارتي لأمريكا أينما التقيت بخادمٍ في التربية الكنسية وسألته: أين كنت تخدم في مصر؟ غالبًا ما يجيب في كنيسة الشهيد مار جرجس باسبورتنج، بينما وجدت بعض الخدام المشهورين في القطر المصري، عندما هاجروا لم ينضموا للخدمة بالمهجر، بماذا تعلل هذه الظاهرة؟" أجابه الكاهن: "هذه ثمرة عمل أبينا بيشوي كامل: إذ كان يبث فكرة عدم الارتباط بكنيسة مار جرجس أو أية كنيسة أخرى، إنما أينما وُجد فهو خادم لحساب ملكوت الله السماوي. واعتاد عندما يفتتح كنيسة جديدة بالإسكندرية أن يختار أفضل مجموعة من الخدام ويطلب منهم أن يبدأوا الخدمة في الكنيسة الجديدة، وكان يقول لهم إنه لا يريد أن يراهم في كنيسة مار جرجس، بل يركزوا كل جهودهم

في الكنيسة الجديدة. هذا لا يعني تجاهل تنظيم الخدمة والتزام الكاهن أو الخادم بخدمة المنطقة المسؤول عنها.

هذا الفكر يرجع إلى آباء الكنيسة الأولين. فقد كان القديس يوحنا الذهبي الفم يقول للكهنة: "الكاهن أب كل البشرية". فما يشغل قلب الكاهن أو أي مؤمنٍ هو خلاص كل البشر والأجيال القادمة إلى يوم مجيء الرب الأخير. ارتباط الكاهن بكنيسة معينة هو من أجل التدبير الروحي، كما يقول الرسول بولس: "ليكن كل شيءٍ بلياقةٍ وبحسب ترتيبٍ" (١ كو ١٤: ٤٠).

يتجلى هذا المبدأ في حياة القديس يوحنا ذهبي الفم ومعاملاته لشعبه. في حديث معهم أوضح القديس لهم أنهم هم الأسقف، فقد لا يجد الأسقف مجالاً للحديث عن ملكوت السماوات لطفلٍ صغير، لكن يستطيع طفل أن يقوم بهذا العمل مع أخيه الطفل بأكثر نجاحٍ منه. وهكذا تستطيع السيدة في أية منطقة تجارية أن تكسب نفوس بعض النساء لخلاصهن أكثر من الكاهن أو الأسقف الخ. لهذا فدور الأسقف أو الكاهن هو أن يرشد الشعب، ليقوم الشعب بدورهم العملي في مناسبات قد لا يوجد فيها أحد من رجال الكهنوت.

٣. **الاهتمام بنقاط الضعف في الخدمة ومعالجتها:** اعتاد أبونا بيشوي في أحاديثه مع كهنة الكنيسة ألا ينسب نجاحًا لخدمة الكنيسة التي يخدم فيها، إنما غالبًا ما يُبرز نقاط الضعف في الخدمة خاصة في اجتماعات الشباب ومدارس التربية الكنسية والعشيات. فيهتم كيف نقدم كلمة الله في كل اجتماع، وكيف نفتقد بهدفٍ إنجيليٍ واضحٍ، مع عدم الانشغال بالسياسات الكنسية.

٤. **اهتمامه بكتابات الآباء والتلمذة عليها:** في سفره لحضور أي مؤتمر كنسي في أوروبا، كانت هديته التي يقدمها للكنيسة هي بعض كتابات آباء الكنيسة الأولين باللغة الإنجليزية، يقوم بترجمتها بعض الشباب، خاصة خريجي كلية الآداب قسم اللغة الإنجليزية، إذ كان يصعب استيرادها من أوروبا في ذلك الوقت.

٥. **شركة الكهنة في التداريب الروحية:** كثيرًا ما كان يلتزم معنا في ممارسة تداريب خاصة لبنياننا الروحي، أذكر على سبيل المثال تحديد عدد الزيارات في أيام الأسبوع والالتزام بقراءة الكتاب المقدس والصلاة وترك كتاب أو كتيب أو نبذة في كل بيت نفتقده. وكان يحذرنا من إضاعة الوقت في المشاكل العائلية خاصة أثناء الافتقاد، إنما نترك معالجة المشاكل في آخر زيارة بالليل، أو في فترات ما بعد القداسات الإلهية حتى لا ننشغل بالمشكلة على حساب الافتقاد.

٦. **عدم انشغاله بالأمور المادية للكنيسة:** لم يكن ينشغل بإيرادات الكنيسة، وفي أثناء بناء الكنيسة كان كل ما يشغله كيف يراعي المهندسون طقس الكنيسة مثل موقع المعمودية والأيقونات ووجود مكتبة للاستعارة لنشر تفاسير الكتاب المقدس وكتب الآباء الخ.

٧. **حرصه على عدم الانتقاد والإدانة:** اذكر في إحدى جلسات كهنة الإسكندرية بالبطريركية إذ كنا في السيارة نعود إلى منزلنا، سألت أبانا: "ما رأيك يا أبي في (فلان) وهو كاهن حديث الرسامة. أجابني، "وما رأيك أنت فيه؟" قلت له: "إنه يحاول اظهار قدراته." فكان تعليقه بكل محبة: "يظهر إننا نسينا ما كنا نفعله في بدء سيامتنا!" هكذا كانت إجابته هادفة أن ندين أنفسنا ولا ندين أحدًا.

تداريب روحية لنمونا الروحي

١. ليتنا في وقت المساء أو الغروب قبل ممارستنا صلاة النوم نتذكّر الذين التقينا بهم خلال اليوم، نذكرهم بالأسماء ونسأل الرب من أجل احتياجاتهم، خاصة الروحية.

٢. ليكن لنا في كل يومٍ خلوة مع الله ولو لمدة ١٠ دقائق لمراجعة تصرفاتنا وأفكارنا.

٣. لنراجع أنفسنا هل مكالماتنا مع أقربائنا وأصدقائنا تليق بالمؤمنين الذين يحرصون على خلاصهم ونموّهم الروحي.

٤. ماذا قدمنا اليوم لنمو ملكوت الله في حياتنا وحياة إخوتنا؟ وهل صلينا مع الرسول بولس (شاول الطرسوسي) يا رب ماذا تريد أن أفعل؟ (أع ٩: ٦)



٣

القداسة

في فكر أبينا بيشوي كامل

اتسمت شخصية أبينا المحبوب القمص بيشوي كامل بمسحةٍ من القداسة يشهد لها كل من يلتقي به. هذه المسحة مصدرها الله القدوس، لها انعكاسها على ملامحه في ابتسامته العذبة ولطفه وحزمه، وفي عبادته كما في كلماته وتصرفاته. فما هو مفهومه للقداسة؟ وما هو منهجه فيها؟ وكيف اقتناها؟ وكيف نما فيها؟

مفهوم القداسة في عبادته وسلوكه

١. سرّ قداسة أبينا بيشوي **تواضعه العجيب، وفي نفس الوقت إدراكه لقيمة نفسه** عند الله والسمائيين التي من أجلها تجسد كلمة الله وتألم وصُلب وقام من بين الأموات وصعد إلى السماوات. فبتجسده قدم للنفوس البشرية كرامة عجيبة أدهشت الطغمات السماوية، وبتألمه قدّم للمؤمن أن يُسر بمشاركة مخلصه في التألم من أجل الآخرين، مترنمًا: "مع المسيح صُلبت فأحيا لا أنا، بل المسيح يحيا فيّ، فما أحياه الآن في الجسد، فإنما أحياه في الإيمان، إيمان ابن الله الذي أحبني وأسلم نفسه لأجلي" (غل ٢: ٢٠). وبقيامته وهبنا النُصرة على إبليس وعلى الموت. وبصعوده نختبر مع كل صباح عربون المجد السماوي. بهذا كان أبونا دائم التهليل يبث في المحيطين به روح النُصرة والقوة والرجاء والفرح.

في جنازة أبينا كان أحد الأحباء (رمسيس إسكندر المنشاوي) في حضرة رجال المباحث يتابعون التحركات من أجل حفظ الأمن في الكنيسة. سأل رجل المباحث من القاهرة زميله بالإسكندرية: لماذا كل هذا الحشد في جنازة كاهن؟! قال زميله بالإسكندرية بأن العدد الحاضر الجنازة قليل جدًا بالنسبة لشخصيته. **فهو إنسان متواضع للغاية إن طلبت منه أن يحلّ سيور حذائك لا يمتنع، وعند الحق يقف كأسدٍ!**

هذا التواضع المرتبط بالحب للجميع حتى لغير المؤمنين، وهذه الشجاعة بأدبٍ دون أن يلفظ بكلمة جارحة وهبته صورة سيده القدوس. هذا ما عناه الربّ بقوله: "إني أنا الربّ إلهكم، فتتقدسون وتكونون قديسين، لأني أنا قدوس" (لا ١١: ٤٤). كما يقول: "وتكونون لي قديسين، لأني أنا الربّ، وقد ميزتكم من الشعوب لتكونوا لي" (لا ٢٠: ٢٦).

٢. مع تواضعه الشديد **يشعر بأن مخلّصه قد ميَّزه، إذ وهبه روح التبني للآب**، وتحقق فيه قول

الربّ: "وقد ميزتكم من الشعوب لتكونوا لي". كثيرًا ما كان يردد لا يجوز لك أن تقدم أعذارًا قائلاً: "لأني عاطفي، أو لأني ضعيف كإنسانٍ". إنه يدعونا أن نعتز بما وهبنا الله: نعمته العاملة فينا، وبنوتنا لله، والسلطان الذي نلناه لندوس على الحيات والعقارب (لو ١٠: ١٩).

٣. اعتزازه بما وهبه الله من روح التسبيح، لا يسبحه بالفم واللسان والحنجرة فحسب، وإنما يتحوَّل إلى قيثارة سماوية بها أوتار متباينة وهي قلبه وفكره وعواطفه ويداه وقدماه وعيناه الخ. يتمتع المؤمن بالفرح والتهليل في أعماقه. وكما يقول المرتل: "افتخروا باسمه القدوس لتفرح **قلوب الذين يلتمسون الربّ**" (مز ١٠٥: ٣). ويقول المرتل: "أنت القدوس الجالس بين تسبيحات إسرائيل" (مز ٢٢: ٣). هكذا يتربع القدوس في أعماقنا، فننطق بالتسابيح بالفرح والقداسة بلا توقف.

٤. كان أبونا الحبيب يهتم **بالأعياد** السيدية وأعياد القديسة مريم ورؤساء الملائكة والشهداء والقديسين، فيشعر كأن حياته عيد لا ينقطع. هذه الأعياد إن قُدمت من القلب السالك في المسيح يسوع عيدنا الدائم، يسكب فرحًا وقداسة نابعة من الداخل. بهذا يدرك المؤمن ما قاله الرسول بولس: "أما تعلمون أنكم هيكل الله، وروح الله يسكن فيكم؟" (١ كو ٣: ١٦). هذا ما عبَّر عنه يشوع بن سيراخ في **مدحه داود الملك**، إذ يقول: "أقام المرتلين أمام المذبح، ليرسلوا ألحانهم العذبة. جعل للأعياد رونقًا، ونظّم أزمانها خلال السنة، وهم يسبحون اسم الله القدوس، ويُدوي في المَقدِسْ (الهيكل) من الصباح" (سي ٤٧: ٩-١٠).

٥. كان أبونا بيشوي عميقًا مع محبوبه ربّ المجد يسوع، يريد أن **يتشبه بالسمائيين الذين يشتركون معًا في التسبيح له**. يتحدث إشعياء النبي عن السيرافيم، قائلاً: "وهذا نادى ذاك وقال: قدوس، قدوس، قدوس ربّ الجنود، مجده ملء كل الأرض" (إش ٦: ٣). ويدعو باروخ النبي الكنيسة أن ترتفع إلى الأعالي: "انهضي يا أورشليم وقفي في الأعالي، وتطلعي من حولك نحو المشرق وانظري بنيكِ مجتمعين من مغرب الشمس إلى مشرقها بكلمة القدوس مبتهجين بذكر الله" (با ٥: ٥).

وجاء في سفر الرؤيا: "والأربعة مخلوقات الحيّة لكل واحدٍ منها ستة أجنحة حولها ومن داخل مملوءة عيونًا ولا تزال نهارًا وليلاً قائلة: قدوس، قدوس، قدوس الربّ الإله القادر على كل شيءٍ الذي كان والكائن والذي يأتي" (رؤ ٤: ٨).

لنتشبه بالسمائيين

تميل حياة أبينا بيشوي إلى الفرح الروحي الداخلي وتسبيح القلب مما جعل أحاديثه عن السماء تُلهب قلوب سامعيه. هذا ما اختبره إشعياء النبي في العهد القديم. وفي العهد الجديد إذ وُهب للقديس يوحنا أن ينطلق إلى يوم الرب، رأى الأربعة مخلوقات الحيَّة المحيطين بالعرش يقولون: "**قدوس، قدوس،**

قدوس، الرب الإله القادر على كل شيءٍ، الذي كان والكائن والذي يأتي" (رؤ ٤: ٨).

ففي العهدين أدركنا أن الثلاثة تقديسات هي تسبحة أعظم طغمة سمائية. لم نسمعهم يردِّدون سمة أخرى بهذه الصورة، فلا يقولون: "الرحوم، الرحوم، الرحوم"، أو "الممجد، الممجد، الممجد". وكأن كلمة "قدوس" لها معنى خاص وفريد بين سمات الله، فهي تعبير أو إعلان عن الله ذاته، أي ما هو خفي فيه، نلمسه ونتفاعل معه، ويصعُب التعبير عنه!

القداسة في حقيقتها ليست كما يتصوَّرها البعض مجرد عدم وجود الخطية أو الرجاسات الخ، إنما ما هو أعظم، وهو الجانب الإيجابي، **أي الإعلان عن الحضرة الإلهية واهبة القداسة التي لا يُنطق بها، للسمائيين وللبشر المؤمنين!** وكأن الله إذ يدعونا إلى القداسة التي بدونها لن يرى أحد الرب (عب ١٢: ١٤)، إنما يدعونا إلى التمتع بالشركة معه، والشعور بالحضرة الإلهية في أعماقنا. وكما يقول الرسول: "أن يعرف كل واحدٍ منكم أن يقتني إناءه بقداسة وكرامة" (١ تس ٤:٤). فالقداسة من الجانب السلبي نقيض للنجاسة (١ تس ٤: ٧)، ومن الجانب الإيجابي اقتناء الله نفسه القدوس ساكنًا فينا، أو كما يقول الرسول: "شركاء الطبيعية الإلهية، هاربين من الفساد الذي في العالم بالشهوة" (٢ بط ١: ٤). فيصرخ المؤمن في كل صلاة: "روحك القدوس لا تنزعه مني" (مز ٥١: ١١). وكما يقول الرب نفسه: "تكونون لي مملكة كهنة وأمة **مقدسة**". (خر ١٩: ٦)، "أنا الرب **مُقدِّسكم**". (لا ٢٠: ٨)

هذا ما عناه الرسول في رسائله، كقوله: "إلى كنيسة الله التي في كورنثوس **المقدَّسين** في المسيح يسوع، **المدعوِّين قديسين** مع جميع الذين يدعون باسم ربنا يسوع المسيح في كل مكانٍ لهم ولنا" (١ كو ١: ٢).

لقاء مع القدوس!

لأول مرة نسمع في الكتاب المقدس عن أي شيءٍ مقدَّسٍ في سفر الخروج (٣: ٥)، حين قيل لموسى: "الموضع الذي أنت واقف عليه أرض مقدسة". ماذا يعني الرب نفسه بقوله: أرض مقدسة؟ هل تعني أنها أرض لا تخطئ، ولا تمارس شيئًا رِجسًا أو دنسًا؟ لا تمارس الأرض شيئًا من هذا، أما سرّ تقديسها، فهو ظهور العليقة المتَّقدة نارًا ولا تحترق، أي حضرة القدوس. لأن العليقة تشير إلى السيدة العذراء وقد تجسد الكلمة القدوس في أحشائها، فتقدَّست هي، وتقدَّست الأرض بسبب هذه الرؤيا النبوية. فلا نعجب أن نسمع عن المدينة المقدَّسة (نح ١١: ١٨)، والجبال المقدَّسة (مز ٨٧: ١)، والمنارة المقدَّسة (سي ٢٦: ٢٢)، والمذبح المقدَّس (خر ٢٩: ٣٧)، والآنية المقدَّسة (١ مك ٤: ٤٩)، والخبز المقدَّس (لا ٢١: ٨)، والبِكر المقدَّس (لو ٢: ٢٣)، والمحفل المقدَّس (خر ١٢: ١٦)، وبيت الرب المقدَّس (خر ٢٥: ٨)، وثياب الكاهن المقدَّسة (خر ٢٨: ٢)، والدهن المقدَّس (خر ٣٠: ٢٥)، والبخور

المقدَّس (خر ٣٠: ٣٧)، وصفيحة الإكليل المقدَّس لرئيس الكهنة (خر ٣٩: ٣٠)، والماء المقدَّس (١ أي ١٦: ٢٩)، والزرع (الأبناء) المقدَّس (عز ٩: ٢)، والأسفار المقدَّسة (١ مك ١٢: ٩)، والناموس المقدَّس والوصية المقدَّسة (١ كو ١: ٢)، والسيرة المقدَّسة (٢ بط ٣: ١١) الخ. هذه جميعها تشترك في الجانب الإيجابي للقداسة، وهي أن يصير الإنسان وكل ما يلمسه مِلكًا للقدوس، ليس له شيء في ذاته ولا في ممتلكاته أو أعماله، إنما هو للرب يتمتع دومًا بالحضرة الإلهية، وسُكنى الرب وسط شعبه وفي قلبه، وتجلِّي الرب في حياته، وحفظ العهد المقدَّس مع القدوس. فالقداسة ليست بالأمر الذي يصعب بلوغه.

تابوت العهد وحضرة القدُّوس

كان تابوت العهد يمثل الحضرة الإلهية، وكان له قدسيَّته الخاصة، لا يحمله إلا الكهنة وبطقسٍ خاصٍ عندما يحملونه، وأيضًا عندما ينزلوه. أينما حملوه تمتع الشعب بالنصرة وببركات معينة.

في أيام عالي الكاهن كانت المعركة بين إسرائيل والفلسطينيين في صالح الفلسطينيين. طلب الجيش تابوت العهد في أرض المعركة وكانوا واثقين بالنصرة التامة عند إحضاره. لكن ما أن أحضروه حتى حلَّت الهزيمة بإسرائيل، وقُتل ابنا عالي الكاهن، واستولى الفلسطينيُّون على تابوت العهد، وإذ سمع رئيس الكهنة عالي سقط من كرسيه ومات. ما هو السبب؟ تهاون عالي الكاهن في تربية ابنيه الكاهنين، وانغماس الكاهنين في الفساد، والتهاون في المقدسات! إذن لم يكن التابوت في ذاته هو سرّ تقديسهم، بل التمتع بالحضرة الإلهية، لا بالكلام فحسب، بل وبالحياة ذاتها!

فمع ما للطقس سواء في حياة الكنيسة أو المؤمن من أهمية كبرى، يليق بالكنيسة أن تحمل مخافة الرب، وتطلب التمتع بسُكنى الرب فيها، وإعلان حضرته بالتجاوب مع عمل روح الله القدوس فيها!

حضرة القدوس والحياة المقدَّسة!

يرتبط التمتع بالحضور الإلهي أو إعلان القدُّوس عن نفسه في حياة الكنيسة كجماعة مقدَّسة كما في حياة المؤمن بالجدِّية في طلبه عمليًا.

١. **اعتزال عبادة الأوثان ورجاستها:** لعل أول التزام ارتبط به الشعب القديم هو العزل التام عن عبادة الأوثان ورجاستها وطقوسها الشريرة، مثل الإجازة في النار، أي تقديم ذبائح بشرية للأصنام، أو ذبائح وتقدمات أخرى الخ. هذا الجانب السلبي يرافقه عمل إيجابي وهو عبادة الله القدُّوس، وتقديم ذبائح روحية عقلية خفية وظاهرة مقبولة ومرضية أمام الله (رو ١٢: ١).

٢. **رفض الخطايا** ومشورات إبليس وأفكاره وأعماله وخداعاته.

٣. **رفض المفاهيم الخاطئة**، وقبول المفاهيم الإيمانية السليمة من جهة الله والسماء والكنيسة والسمائيين والمؤمنين والعالم والجسد والعواطف والعبادة الخ.

٤. خلال **المفاهيم الصادقة** يدرك المؤمن أن الله يدعوه للشركة معه، فلا يركز على أخطائه وضعفاته، بل على محبة الله له ورعايته الفائقة. يدرك المؤمن أنه إنسان الله الذي تشتهي السماء يوم مجيئه مع مخلِّصه على السحاب، فترُحِّب به ليشترك مع السمائيين في التسبيح له.

هذه المفاهيم تجلَّت في حياة أبينا بيشوي، وتُرجمت في تصرّفاته، فلا نعجب من اتساع قلبه بالحب مع ظهور علامات الفرح في حياته. هذا وقد لمسنا فيه التالي:

١. أنه إنسان كنسي حقيقي، لكن في غير استعباد للحرفية في العبادة.
٢. يعشق التوبة، وفي نفس الوقت يسكب الرجاء في كل من يلتقي معه أو يعترف عنده.
٣. في قداساته تشعر كأنه يُحلِّق كما في السماء، ويصرخ من كل قلبه متحدِّثًا مع الثالوث القدوس محبوبه العجيب.
٤. يئن مع أنَّات كل إنسانٍ أيا كانت جنسيته أو معتقداته، ويُعد نفسه ومخدوميه للسماء.
٥. قد يختلف مع غيره في الرأي، لكنه يضع يده معه لبنيان أي نفس بشرية وخلاصها.
٦. يمارس الصداقة الحميمة مع القديسين والسمائيين في المسيح يسوع!
٧. يجاهد بكل طاقاته في حياته الروحية وخدمته، وهو متكئ على غنى نعمة الله الفائقة.
٨. محب للتعلُّم كما للتعليم، ولنموه ونمو إخوته في المعرفة والتجديد الداخلي بروح العبادة الظاهرة والخفيَّة.
٩. يلجأ إليه الكثيرون حتى في طلب مشورة في الزمنيَّات، وفي نفس الوقت يُقدم هذه التساؤلات على المذبح الإلهي، ولا يعتمد على فكره البشري في تشامخٍ.
١٠. قلبه ناري، يطلب خلاص كل البشرية، في رجاء وثقة في وعود الله الأمينة.

سرّ هذا كله الحياة المقدسة أو التصاقه بالقدوس بلا توقف!

ماذا يقول الكتاب المقدس عن القداسة؟

"من مثلك معتزًا في القداسة، مخوفًا بالتسابيح، صانعًا عجائب؟!" (خر ١٥: ١١)

"ببيتك تليق القداسة يا رب إلى طول الأيام". (مز ٩٣: ٥)

"فلم يدركوا أسرار الله، ولم يرجوا جزاء القداسة، ولم يعتبروا ثواب النفوس الطاهرة". (الحكمة ٢: ٢٢)

"ويتخذ القداسة ترسًا لا يقهر". (الحكمة ٥: ٢٠)

"ويسوس العالم بالقداسة والبرّ، ويجري الحكم باستقامة النفس". (الحكمة ٩: ٣)

"وكان على العمامة إكليل من ذهب منقوش عليه عنوان القداسة، وكان زينة كرامة صنعة براعة تعشقها العيون لحسنها". (سيراخ ٤٥: ١٤)

"تعين ابن الله بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة من الأموات يسوع المسيح ربنا". (رو ١: ٤)

"فإذ لنا هذه المواعيد أيها الأحباء لنُطَهِّر ذواتنا من كل دنس الجسد والروح، مكملين القداسة في خوف الله". (٢ كو ٧: ١)

"لكي يُثَبِّت قلوبكم بلا لوم في القداسة، أمام الله أبينا في مجيء ربنا يسوع المسيح مع جميع قديسيه". (١ تس ٣: ١٣)

"لأن الله لم يدعنا للنجاسة، بل في القداسة". (١ تس ٤: ٧)

"ولكنها ستخلص بولادة الأولاد إن ثبتن في الإيمان والمحبة والقداسة مع التعقل". (١ تي ٢: ١٥)

"كذلك العجائز في سيرة تليق بالقداسة، غير ثالبات، غير مستعبدات للخمر الكثير، معلمات الصلاح". (تي ٢: ٣)

"اتبعوا السلام مع الجميع والقداسة، التي بدونها لن يرى أحد الرب". (عب ١٢: ١٤)

ماذا يقول الآباء عن القداسة؟

❖ ماذا يعني بكلماته: "**قدّسهم في حقك**" (يو ١٧: ١٧) سوى "قدّسهم فيّ"... فالآب يُقدس في الحق، أي في كلمته، في ابنه الوحيد، يُقدس ورثته والوارثين مع الابن[١].

القديس أغسطينوس

❖ بالتجسد الإلهي صرنا مشابهين إياه من جهة الجسد، صرنا أغصانًا في الكرمة، متحدين به، متمتعين بملئها (يو ١: ١٦). بهذا تقدَّس جسدنا الذي كان قبلاً ميتًا وفاسدًا، إذ صار له حق القيامة والخلاص خلال إخوتنا بالسيد المسيح الحامل لجسدنا![٢]

البابا أثناسيوس الرسولي

❖ **المسيح هو القداسة** التي بدونها لا يقدر أحد أن يعاين وجه الله. المسيح هو خلاصنا، إذ هو المخلص والفدية في نفس الوقت. المسيح هو كل شيءٍ بالنسبة لنا، فمن يترك شيئًا من أجله يجده مقابل ما قد تركه، فيستطيع في حرية أن يقول: "نصيبي هو الرب" (مز ١٢٣: ٦)[٣].

---

[1] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 108: 3.*
[2] *De Sententia Dionysii 11.*
[3] *Ep. 116: 8.*

❖ يصير الإنسان بالقداسة إلهًا[1]، بهذا يكف عن أن يكون إنسانًا ينطق بالكذب[2].

❖ **ببيتك تليق القداسة يا رب"** (مز ٩٣: ٥). فقط لنتحقق ماذا يقول: إن كان أحد يظن أنه يسكن في بيت الرب، وهو غير طاهر وغير مقدس، فهو غريب عنه، لأنه لا يقتني الزينات اللائقة. **"ببيتك تليق القداسة يا رب"** إن كنا بحسب قول الرسول نحن هيكل الله وبيته، فإن قداسة سلوكنا يلزم أن تكون هي زينة الكنيسة وكرامتها. وعلى العكس فإن كانت الخطايا والرذائل واضحة فينا، نكون عارًا وإفسادًا لبيت الرب ولا يكون له جمال[3].

القدّيس جيروم

❖ حفظت العروس قدميها بدون تلوث على الطريق مثل ما فعل داود بوضع قدميه على صخرة، بعد غسلهما من الطين، حيث قال: "أصعدني من جب الهلاك، من طين الحمأة، وأقام على صخرة رجلي. ثبت خطواتي" (مز ٤٠:٢). نحن نفهم أن هذه الصخرة هي (طريق) السيد المسيح، فهو النور والحق وعدم الفساد والبرّ الذي للطريق الروحي. وعندما نحفظ خطواتنا على هذا الطريق دون أن ننحرف عنه إلى أحد الجانبين، تبقى حياتنا غير ملوثة بالقاذورات. هذه هي الطريقة التي حفظت بها العروس بابها مفتوحًا للسيد المسيح. ووعدتْ ألا تعود مرة أخرى للقاذورات المرفوضة، أو تستقبل أية ملوثات أرضية على طريق هذه الحياة، لذلك أصبحت روحها مستعدة أن تكون مقدسة. **المسيح نفسه هو هذه القداسة** (١ كو ١:٣٠)[٤].

القديس غريغوريوس النيسي

❖ لا تسمح لدنس أو غَضَن يدنس نقاوة ثوب الخلود، بل احفظ قداسة كل أعضائك، إذ تلبس المسيح؛ إذ يُقال: "لأن كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح" (أف ٣: ٢٧). لتكن أعضاؤكم جميعها مقدسة، فتكون كمرتدية ثوبًا من القداسة والنور[٥].

القديس باسيليوس الكبير

❖ اسمح للقلب أن يخدمك بأفكار القداسة، لأنك رهيب على الخلائق.
قدّس لساني من كل الأخبار العالمية، وبعِشرتك يتحرك للتسبيح[٦].

---

[١] بمعنى التمتع بسمات فائقة، أي ثمر الروح وذلك بفضل نعمة الله.

[2] *On Ps. hom 20.*

[3] *On Psalms, homily 70.*

[٤] عظات على نشيد الأناشيد، تعريب الدكتور جورج نوّار، عظة ١١.

[5] *Ep. 292.*

[٦] الميمر ١ على الإرشاد (راجع نص بول بيجان والدكتور بهنام سوني).

❖ كنْ مركبة لمملكة السمائيين، وسبّح الآب الذي ربطك في تسبيح ابنه.
كنْ مركبة لتقديس السمائيين، وقدِّس الآب، لأن نفسك تحيا بتقديسه.
قلْ للآب بقداسة: ليتقدس اسمك، وليكن مقدسًا كما في السماء كذلك على الأرض.
يا أبا الأقداس القدوس ليتقدس اسمك، وأرسلْ لأبنائك ذاك الملكوت الذي هو كله قُدس...
الآب قدوس، والابن قدوس، والروح قدوس، ثلاثة تقديسات، تُعطي القدسات للقديسين.
ولهذا يهتف الكهنة في البيت المقدس: قدوس، **لأن القدوس يُزف وينزل ويحلّ في القديسين.**
خفْ أيها الخاطئ في ذلك الوقت، وانظرْ إلى نفسك، واغسلها ونظفها لئلا يجتاز القدس عنك.
يخرج القدس من بيت أقداس اللاهوت إلى العلويين ليقدسهم برفرفته،
يُزف وينحدر نحو السفليين، ليجعلهم آنية القداسة المختارة ليحلّ فيهم.
يُزف الملك مع أفواجه المقدسة، فيهيئ مسكن القداسة ليدخله ويحلّ فيه.
زيّنْ نفسك بكل جمال البرّ، يأتي عندك ذاك الملكوت الذي هو كله قُدس.
نزلت نار مخيفة مُحرِقة العوالم، لتستنر نفسك بالبرّ والقداسة.
لتلتهب فيك نار المحبة كالأتون، ولتُكرم فيك النار الحية بمحبتك[1].

القديس مار يعقوب السروجي

❖ في العالم الظاهر، إذا ذهب ملك ليقيم زمانًا (في المدينة)، واتفق أنه نزل بيتًا فيه نجاسة ما، فإنه يُنظم ويُزين بزينات متنوعة، ويُبخر بروائح عطرة، فكم بالحري يحتاج بيت النفس الذي يأتي الرب ليستريح فيه إلى زينات كثيرة لكي يدخله ويقيم فيه، ذاك الذي هو نفسه نقي من كل دنسٍ وعيبٍ؛ هكذا هو القلب، إذ فيه يحلّ الله وكل الكنيسة السماوية.

القديس مقاريوس الكبير

❖ حقًا إن الله حتى بالنسبة لهذه الطغمات غير مدرك، ولا يمكن الدنو منه. لهذا فهو يتنازل ليظهر بالطريقة التي وردت في الرؤيا. الله الذي لا يحده مكان ولا يجلس على عرش... من قبيل محبته لنا يظهر جالسًا على عرش وتحيط به القوات السمائية.

إذ ظهر على العرش وأحاطت به هذه القوات لم تقدر هذه القوات على معاينته ولا احتملت التطلع إلى بهاء نوره، فغطت أعينها بأجنحتها، ولم يعد لها إلا أن تسبح وترنم بتسابيح مملوءة مجدًا ورعدةً مقدسة، وأناشيد تشهد لقداسة الجالس على العرش[2].

---

[1] الميمر ٤٢ على تناول الأسرار المقدسة ليوم سبت "الحواريين" (راجع نص بول بيجان والدكتور بهنام سوني).
[2] العناية الإلهية للقديس يوحنا ذهبي الفم ص ١٣، ١٤.

❖ يقول الرسول (١ تس ٤: ٨) إن كنت تدنس إمبراطورة أو جارية لك متزوجة فإن الجريمة واحدة، لماذا؟ لأن الله ينتقم لا عن الأشخاص الذين أصابهم الضرر، وإنما ينتقم لنفسه[1].

القديس يوحنا الذهبي الفم

تداريب روحية

١. السلوك باعتدال حتى في ممارسة الفضائل الإنجيلية. ففي تواضعك لا تعيش في رخاوة، بل تكون حارًا بالروح متمسكًا بالحق. وفي تمسكك بالحق لا تفقد التواضع فتكون محبًا للجدل النظري غير الهادف لخلاص النفوس.

٢. في جلساتك الروحية قدم ذبائح الشكر للثالوث القدوس، كابنٍ للآب بالتبني، وعضو في جسد المسيح، ومسكن للروح القدس كهيكلٍ مقدس.

٣. في حبك للتسبيح لا تندفع لتسبح منفردًا، متجاهلاً الحياة الجماعية في الربّ.

٤. تذكَّر عمل السيد المسيح لخلاصك، فتحبه عيدًا لا ينقطع.

٥. تذكَّر أنك في صحبة السمائيين.



[1] *In 1 Thess., hom 5.*

٤

البساطة والحكمة

في حياة أبينا القمص بيشوي كامل

❖ الحكمة – أي طلب الحق – أمر طبيعي للكل.

❖ أين هي الحكمة؟ إنها تكمن في إدراك أنك لا تظن بأنك تعرف كل شيء، فهذا يخص الله. ولا أنك تجهل كل الأشياء، فهذا هو طريق الوحوش. وضع الإنسان هو إلى حد ما في المنتصف.

❖ لا يُمارس الدين بدون حكمة، ولا تتزكّى حكمة ما بدون الدين.

❖ الحق البسيط غير المخادع يصير أكثر وضوحًا، إذ فيه فضائله الذاتيّة بما فيه من كفاية. هذا الحق يفسد عندما يُزيّن بزينات (خارجيّة).

العلامة لاكتانتيوس

بين بساطة الطفولة وحكمة الشيوخ

يقف الإنسان في حيرة أمام شخصية أبينا المحبوب القمص بيشوي. **تراه بين الأطفال كطفلٍ** يعيش في عالمهم، لكن في حكمة الشيوخ. ففي بساطتهم يحملهم كما بروح الله القدوس ليتمتعوا بالنضوج، ويمارسون حكمة الشيوخ. **وفي وسط الشيوخ تراه شيخًا يسبق سنه بكثيرٍ**، يتبادل الخبرات معهم، ويحترم شيخوختهم وينتفع من خبراتهم، وهم يعتزون بحكمته وخبرته، ليس كواحدٍ منهم فحسب، وإنما كمن يسمو بحكمته عليهم.

مع هذه البساطة والحكمة تلمس فيه **الشخصية المتكاملة غير الازدواجية**، لأن بساطته وحكمته ليسا عن افتعالٍ، لكنهما ثمرة حقيقية لخبرة الحياة مع الله. يرفع قلبه لله الآب، فيجد في أبوته له عذوبة ودفئًا وحكمةً مع البساطة. يلتصق بالسيد المسيح الذي يعشقه، فينهل من بساطته ووداعته وتواضعه كما من حكمته الإلهية. يمكنني بحق أن أشهد أن بساطته وحكمته كانتا شهادة حية لشركته مع السيد المسيح، وانعكاس لخبرته معه بكونه إنجيلاً معاشًا.

البساطة وعمق الإيمان

إيماننا دعوة للحياة البسيطة من خلالها يلتقي المؤمن بالله كما بأبيه، ويرتمي في أحضانه، فينهل من فيض حبه ويتعرف على أسراره. مع كل صباحٍ جديدٍ يرتفع المؤمن بقلبه كما بعقله وأحاسيسه

وعواطفه وكل طاقاته بروح الله القدوس، كمن يدخل إلى خبرة سماوية جديدة ولقاء مع الله مخلصه، كما لو كان لأول مرة. البساطة مع عمق الإيمان وجهان لحقيقةٍ واحدةٍ، أو هما أختان لا تفترقان، إن نُزعت الواحدة زالت الأخرى.

الرقيق الحازم

كان رقيقًا للغاية، خاصة في تعامله مع الخطاة. كثيرًا ما كان يقول: الكهنة والكنيسة **ليسوا وكلاء نيابة يحققون ويتهمون، وليسوا قضاة يحكمون على الغير**. لكن الكاهن أب يخدم أولاد سيده. كانت أكثر جلسات الاعتراف عنده لا تزيد عن دقائق بسيطة. ليس لأنه يتعجل المعترفين، وإنما لأنهم يجدون في بشاشة وجهه وكلمات الرجاء ما يمنع المعترف من تحويل الاعتراف إلى سرد قصصٍ تفصيليةٍ. وكثيرًا ما لا يجد المعترف ما يقوله، وعندما يقول: "هل يمكنني التناول من الأسرار الإلهية؟" كانت إجابته المشهورة: "ربنا بسيط، عايز تعقدها ليه؟"

هذا الرقيق للغاية يكره الخطية ولا يطيقها. حين حاول البعض تحويل الكنيسة إلى قاعة للأنشطة الاجتماعية في تسيبٍ، وقف حازمًا علانية ومنعهم، بعد أن نصحهم خفية عدة مرات!

توقف فجأة في الطريق ما بين محطتي كامب شيزار والإبراهيمية. سألته: "لماذا توقفت؟" أجابني: "كنت أفكر في الأمس عن أسلوبنا في الخدمة، فنحن نلاطف الشعب جدًا، ولا نود أن نُحزن أحدًا، بينما أبونا (فلان) حازم وشديد. **أخشى أن نكون نحن الاثنين متهاونيْن في قدسية الكنيسة وخلاص إخوتنا** لأجل إرضاء الناس"، واسترسل في الحديث معي. كان يحاور نفسه ليضع حدًا للرقة في التعامل وللحزم، حتى لا تتحول الرقة إلى تسيبٍ، ولا الحزم إلى العنف والقسوة.

كرامة الكهنوت في غسل الأقدام

حين ذهبت إلى لوس انجلوس في أغسطس ١٩٧٠ قال لي في المطار: "لقد جئت في الوقت المناسب... لي عشرة شهور هنا وحدي في جفاف. محتاج إلى جلسات مع الكهنة لاسترداد حيويتي".

هكذا في بساطة، مع ما اتسم به من روح قيادية وشهرة فائقة في القطر المصري كله وخارجه، حسب نفسه محتاجًا إلى جلسات مع إخوته الكهنة، لا لتنظيم الخدمة والتخطيط، إنما لينهل منهم ما يرد له حيويته في المسيح يسوع. العبارة التي كان لا يطيقها هي "**كرامة الكهنوت**"، فكان يردد "كرامة الكهنوت في غسل أقدام الآخرين".

بساطته وشركته مع القديسين

عشقه لشخص مخلصه ربنا يسوع المسيح، كان يرفع قلبه دائمًا نحو السماء، ويفتح أمام بصيرته

الفردوس. كان يشعر بالحب المتبادل بينه وبين السمائيين وقديسي العهدين القديم والجديد، كما كان يشعر بصداقة القديسين الذين عاصرهم ورحلوا من هذا العالم. شعر بوحدة الكنيسة السماوية المنتصرة في الفردوس مع الكنيسة المجاهدة. كان حديثه عن الكنيسة الجامعة في السماء وعلى الأرض يكشف عن عمق علاقته بالسيد المسيح.

في بساطة قلب، في أغلب أعماله، كان يطلب معونة القديسين له، خاصة ما يخص خلاص النفس أو تدبير عملٍ كنسيٍ. أذكر على سبيل المثال كان مهتمًا بخلاص إنسان على وشك أن ينكر الإيمان لتعلقه بإنسانة غير مسيحية. وإذ جاهد معه كثيرًا بلطفٍ وحنوٍ مع صلاة وصراخ لله، سأله يومًا إن كان يقوم بتوصيله إلى دير القديس الأنبا بيشوي، وكان في ذلك الحين من النادر جدًا أن تجد من يقوم بزيارة الأديرة من الشعب. وعندما دخل معه كنيسة الدير وسجدا معًا، ثم ذهبا إلى جسد القديس، لاحظ أنه ارتمى على الأنبوبة التي بها الجسد وكان يبكي. تركه أبونا لفترة، ولما جاء إليه هذا الشخص قال له إنه يستحيل يرجع إلى هذه الإنسانة، وأنه لن ينكر مسيحه مهما كان الثمن!

وعند إقامة كنيسة السيدة العذراء بكليوباترا، وقف أمام صورة السيدة العذراء وصرخ طالبًا منها أن ترسل الشهيد مار جرجس من قِبَل الرب ليقوم بهذه المهمة.

وروى لي أبونا انطونيوس ثابت أنه في جلسة مع المحافظ (ف. م)، إذ حدث حوار حام بخصوص كنيسة السيدة العذراء بين عدة أطراف. قال المحافظ بعنف: "مين قال إنها كنيسة؟" هنا يقول أبونا أنطونيوس: وسط هذا الجو العاصف للغاية، صرخ أبونا بيشوي، وقال: "السيدة العذراء قالت إنها كنيسة!" صمت الكل وانفض المجلس، ولم ينطق أحد بكلمة!

دراسته العلمية والتربوية وإنجيل المسيح

كان النجاح إحدى سماته منذ صباه، ويشهد كل الذين كانوا تلاميذ له كمدرس للمواد العلمية مثل الكيمياء والطبيعة عن معرفته المتجددة وقدراته أيضًا على التعليم. هذا وقد عُين معيدًا في المعهد العالي للتربية لتفوقه في المواد التربوية والنفسية. وحين سيم كاهنًا لم يستخف بما حصّله، لكنه كان يدرك أنه أولاً وقبل كل شيءٍ هو خادم الإنجيل.

كثيرًا ما تحدث عن بعض المبادئ التربوية الحديثة بأنها في جوهرها وليدة أسلوب السيد المسيح في التعامل مع كل الطبقات من المعاصرين له، وأسلوب الرسول بولس في رسائله التي تهتم بالجوانب الإيجابية أكثر من السلبية، وإبراز الجوانب الطيبة والمشرقة بقوة قبل معالجة الضعفات أو الأخطاء حتى اللاهوتية.

كثيرًا ما كان يحذر من أن يتحول الكاهن إلى محلل نفساني أو مرشد اجتماعي. إنه لا يتجاهل دور

الطبيب النفسي ولا المرشد الاجتماعي، بل وكان أحيانًا يرسل بعض الأشخاص للعلاج النفسي لدى أطباء نفسانيين روحيين. لكن تبقى الكنيسة في خطها الخلاصي بكل وضوحٍ.

بساطته والميل الثاني

كتب أبونا بيشوي كامل عن قوة "الميل الثاني" أو الحب العملي، كما سجل هذا في تصرفاته العملية. ففي أوائل الستينيات، إذ دخلت الكنيسة وجدت شابًا متزوجًا يقف في فناء الكنيسة، وكان يهاجم أبانا بألفاظٍ قاسيةٍ. أراد البعض أن يتصدى له، وكان ذلك قبل عشية يوم سبت. بعد أخذ الاعترافات في هدوء أخبرت أبانا أنه يريد أن يعتذر له عما صدر منه في غيبته!

بدلاً من العودة إلى منزلنا طلب مني أبونا أن نذهب إلى بيته معًا، قائلاً: "هو ابني، وأنا غلطان!

فرحت بقلب أبينا المتسع وحبه لأولاده... فوجئ الشاب بدخولنا، فارتمى على الأرض ليَّقبل قدمّيْ أبينا، أما هو فبقوة اجتذبه واحتضنه وقبَّله، وهو يقول: "حقك عليّ... ما تزعلش، أنا غلطان!" لم يحتمل الشاب هذا الحب فصار يبكي!

صورة رائعة وحيَّة للأب الخادم، بل وللمسيحي الحقيقي الذي لا يدافع عن كرامته الشخصية، ولا يحمل كراهية أو حقدًا، بل كان يمارس الحب بروح التواضع المملوء حكمة!

البساطة لا التعقيد

كلمة "بسيط" هي ضد "معقد". فالإنسان البسيط هو الذي له هدف واضح، وطريق واحد. إنه يدرك هدفه ولا ينحرف عنه يمينًا أو يسارًا. هذا الهدف الواحد هو التمتع بالشركة مع الله الواحد، الثالوث القدوس. أما الطريق فهو الاتحاد مع ذاك القائل أنا هو الطريق. وكما يقول **القديس أغسطينوس** المسيح هو طريقنا نسلك فيه، وهدفنا، إذ به نبلغ إليه.

بساطة الطفولة

العودة إلى الطفولة تحمل عودة إلى الثقة بالله أبينا، فنرتمي في أحضانه، ونثق في أبوّته الحانية الغافرة، التي تعد لنا ميراثًا أبديًا وشركة أمجاد فائقة. أبوّته تحوّل حياتنا إلى عيدٍ لا ينقطع، إذ تملأ نفوسنا فرحًا داخليًا، وتنزع عنا كل قلقٍ أو مخاوفٍ. تحوّل حياتنا إلى رحلةٍ ممتعة، مع كل يومٍ يلتهب قلبنا بنار حبه، ويجوع ويعطش إلى اللقاء معه، وننهل من حكمته الإلهية الفائقة.

بساطة الحمام

ربط السيد المسيح البساطة بالحكمة، فدعانا إلى حكمة الحيّات المرتبطة ببساطة الحمام (مت ١٠: ١٦).

ماذا يرى القديس أغسطينوس في بساطة الحمام؟

١. **لا يعرف الحمام الكراهية قط.** فإن أُخذت صغاره من عشّه وذُبحت أمامه لا يفارق عشّه، ولا يتوقف عن أن يُحتضن بيضًا جديدًا ليُقدم من صغاره طعامًا للغير! ليس للبغضة مكان في قلبه ولا في فكره ولا في قاموس كلماته.

٢. **حياة جماعية مملوءة سلامًا:** يلاحظ **القديس أغسطينوس** في الحمام أنه قد يتنازع، فتنقر الحمامة أختها، لكن متى وُضع أمامه الطعام اجتمع الكل معًا للأكل دون نزاع، ومتى طار يكون معًا كجماعةٍ واحدةٍ، يطير في اتجاه واحد. كأن الحمام يدعونا إلى الحياة الجماعية المملوءة سلامًا، حتى وإن وُجد نزاع أو اختلاف فيما بيننا. هذا ما حدث مع الرسولين بولس وبطرس، إذ قاوم الأول الثاني علانية لأنه كان ملومًا (غل ٢: ١١)، ومع هذا كان يحمل له كل حبٍ ويخدم الاثنان بروحٍ واحدٍ وغايةٍ واحدةٍ، وإن كان لكل منهما شخصيته المختلفة ومواهبه المتباينة.

تكرر الأمر بين الرسولين بولس وسيلا حين اختلفا في شأن القديس مرقس في انطلاقهما للرحلة التبشيرية الثانية، وكان ذلك سببًا في القيام برحلتين في اتجاهين مختلفين، لكن بروح واحدة، ودون أن يفقدا سلامهما.

هكذا يعلن **القديس أغسطينوس** أن الحمام في بساطته لا يحمل حقدًا حتى إن وُجد بينهم نزاع، بينما لا تعرف الذئاب الحب حتى وإن قدمت قُبلات.

حكمة الحيّة

❖ إنّني أحب في الحمامة عدم حِقدها، ولكني أخشى في الحيّة سمّها، غير أن الحيّة بها ما نكرهه، وبها أيضًا ما يلزمنا أن نتمثّل به:

أ. عندما يشعر الثعبان بشيخوخته، ويشعر بثقل السنوات الطويلة، يتقلّص ويُلزم نفسه على الدخول من ثقب صغير فينسلخ عنه جلده العتيق، ويخرج إلى حياة جديدة، يلزمك أن تتمثل به أيها المسيحي في ذلك. اسمع ما يقوله السيّد المسيح: "اُدخلوا من الباب الضيّق" (مت ٧: ١٣)، ويحدّثنا الرسول بولس قائلاً: "إذ خلعتم الإنسان العتيق مع أعماله ولبستم الجديد" (كو ٣: ٩). يلزمنا أن نتمثل بالثعبان: لنمت لا لأجل الإنسان القديم، بل لأجل الحق...

ب. تمثل بالثعبان أيضًا في هذا الأمر، وهو أن تحفظ رأسك في أمان، أي لتحتفظ بالمسيح فيك. ألم تلاحظوا ما يحدث عند قتل الأفعوان، كيف يحفظ رأسه معرضًا كل جسمه للضربات! إنه يريد ألاّ يُضرب ذلك الجزء الذي يعلم أن فيه تكمن حياته. ونحن أيضًا حياتنا هو المسيح الذي قال بنفسه: "أنا هو الطريق والحق والحياة" (يو ١٤: ٦)، وكما يقول الرسول: "رأس كل رجل هو المسيح"

(١ كو ١١: ٣). فمن يحتفظ بالمسيح في داخله، إنّما يحتفظ برأسه الذي يحميه[1].

القديس أغسطينوس

عمق الإيمان والبساطة

حين نتحدث عن عمق الإيمان وحكمته، إنما نتحدث عن الوجه الآخر لحياة البساطة. الإيمان في أعماقه يرفع قلوبنا للتذوق المستمر للحياة السماوية، مع الاعتزاز بنعمة الله التي وهبت لنا البنوة له في مياه المعمودية، وخبرة سكنى الروح القدس فينا كهيكلٍ مقدسٍ لله مع تجديدنا المستمر حتى نصير بالحق أيقونة حية لعريسنا السماوي. وفي نفس الوقت يتسع قلبنا لعله يتمكن من أن يقبل بالحب كل البشرية كأحباء مات المسيح عنهم. بالإيمان نستعذب الألم بكونه صلبًا مع السيد المسيح. هكذا بالبساطة نختبر عمق الإيمان، فنشهد لإنجيل المسيح فينا!

ماذا يقول الآباء عن البساطة؟

❖ كما أن أعضاء الجسد لا يمكنها أن ترى بدون العين، هكذا أيضا **أعمال الخير لا يمكن تنفيذها بدون البساطة**؛ وكما أنه بفقدان البصر تصير جميع الأعضاء في ظلام، هكذا أيضا بفقدان البساطة تتوقف كل أعمال الخير...

افرح أيها التلميذ الجاد المستقيم ببساطتك، التي بها وقفت على طريق الحق والبرّ، ولا تخجل إذا دُعيت طفلاً. هذا الاسم يناسبك لأنك بالفعل تستحقه: فبه نعرف أنك نقي وخالٍ من كل إثم، لأن اسم "طفل" يشير إلى النقاوة، واسم "بسيط" يشير إلى خلو الإنسان من الغش. وكما أن الناس في هذا العالم لهم أسماء تدل على هوية وظائفهم أو وضعهم في الدولة (طبيب، مهندس، معلم...) هكذا أيضا يُنادى التلميذ باسم "بسيط". فهل تستطيع أن تُسمى بنفس اسم الله، لأن اسم "بسيط" يشير إلى أمر فريد من نوعه. [عظة ٥]

❖ تولد مخافة الرب الحقيقيّة من الإيمان الحقيقي، فمن يؤمن حقيقة، يخاف ذاك الذي يؤمن به... **يولد الإيمان من البساطة الطبيعيّة، كما يُحفظ ويثبت أيضًا بتلك البساطة...**

تحافظ البساطة على الإيمان، وتحافظ مخافة الرب على وصايا الله. [عظة ٦: ١٦٢]

مار فيلوكسينوس المنبجي

❖ لنحسب حساب نفقة البرج الروحي الشاهق العلو، ونتعمق في ذلك مقدَّما بحرصٍ... لنأخذ في اعتبارنا أولاً الأخطاء بصورة واضحة، فنحفر ونزيل الفساد ونفايات الشهوات حتى يمكننا أن نضع

[1] *Ser. on N. T. , hom 14.*

أساسات البساطة والتواضع القويَّة فوق التربة الصلبة التي لصدرنا الحيّ، أو بالحري توضع الأساسات علي صخر الإنجيل (٦: ٤٨)، بهذا يرتفع برج الفضائل الروحيَّة، ويقدر أن يصمد ويعلو إلى أعالي السماوات في أمانٍ كاملٍ ولا يتزعزع[١].

الأب اسحق

ماذا يقول الآباء عن الحكمة؟

❖ معرفتنا هي المسيح، حكمتنا هي أيضًا المسيح... بواسطته نتّجه إليه. بالمعرفة نميل نحو الحكمة، كل هذا دون مفارقة المسيح ذاته الواحد بعينه.

❖ الصبر رفيق الحكمة.

القدّيس أغسطينوس

❖ المسيح هو الذي يعلن المخفي والمستور (مت ١١: ٢٥-٢٧)، ويزرع الفهم في قلوبنا، لأن فيه وبه "مذخر كل كنوز الحكمة والمعرفة" (كو ٢: ٣)، وبه ومعه المجد والقدرة من الآب مع الروح القدس من جيل إلي جيل والى أبد الآبدين، آمين[٢].

القديس كيرلس السكندري

❖ لماذا لم يقل "جعلنا حكماء"، بل قال: "**صار لنا حكمة**" (١ كو ١: ٣٠)؟ لكي يُظهر فيض العطية. وذلك كقوله: "**أعطانا نفسه**". لاحظ كيف أكمل الحديث في ترتيبٍ لائقٍ. أولاً جعلنا حكماء بإنقاذنا من الخطأ. بعد ذلك أبرارًا وقديسين بإعطائنا الروح. هكذا خلصنا من كل الشرور لكي نصير "**منه**". هذا لا يعني تعبيرًا عن علاقة وجود وكيان، بل حديثًا عن الإيمان[٣].

❖ أتيت إليكم لا ببلاغة وحكمة، ولا نطقت بشيءٍ سوى أن "المسيح قد صُلب"[٤].

❖ الحكمة البشرية تجحد الصليب، أما الإيمان فيُعلن قوة الله. الحكمة لم تفشل في إعلان الأمور التي يبحث عنها البشر، لكنها أيضًا تشجعهم على التشامخ من أجل ما بلغوه. أما الإيمان فليس فقط يُقدم لهم الحق، وإنما يشجعهم أيضًا على تمجيد الله[٥].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ لا فائدة من دراسة العلوم إن كانت النفس ليس لها حياة صالحة ترضي الله.

❖ حقًا للإنسان العاقل اهتمام واحد، وهو أن يطيع الله القدير من كل القلب وأن يرضيه.

---

[1] *Cassian: Conf. 2: 9.*
[2] *Letters, 41:25.*
[3] *In 1 Cor. Hom. 5:4.*
[4] *In 1 Cor., hom. 6:1.*
[5] *In I Cor., Hom. 6:3.*

وهو يعلم شيئًا واحدًا فقط، وهو كيف يصنع قدر استطاعته ما يوافق الله، شاكرًا إياه على عنايته المملوءة حنانًا التي تعمل في كل ما يحدث في حياته.

وكما إنه لا يليق بنا إلا أن نشكر الأطباء لشفائهم أجسادنا، حتى إن قدموا لنا أدوية مُرّة غير مقبولة، هكذا لا يليق بنا أن نجهل أن كل الأشياء تعمل معًا للخير، وذلك بفضل العناية الإلهية، فننكر معروف الله في الأمور التي تبدو لنا أنها مؤلمة.

القديس أنطونيوس الكبير

❖ يحمل كل حيوان دوافع قُدِّمت له من الله لحفظ جنسه، لذلك قدَّم لنا المسيح هذا التحذير حتى ما يمارسه الحيوان بالطبيعة نمارسه نحن بالعقل والحكمة، فنهرب من الخطيَّة كما تهرب الحيوانات من الطعام القاتل، ونطلب البرّ كأعشاب مفيدة.

يقول: "**احذروا لأنفسكم**"، أي ميِّزوا ما هو مميت ممَّا هو صحّي.

لما كان هناك طريقان للحذر لأنفسنا، واحد خلال الأعين الجسديَّة والآخر خلال وظائف النفس، وإذ لا تستطيع العين الجسديَّة أن تبلغ الهدف لذا فإنه يتحدَّث هنا عن عمل النفس.

"**احذروا**"، بمعنى انظروا حولكم من كل جانب، بعين دائمة السهر لحراسة أنفسكم...

يوجد حولكم غنى وفنون وكل مباهج الحياة، يلزمكم إلاَّ تهتمُّوا إلاَّ بنفوسكم اهتمامًا خاصًا[1].

القدِّيس باسيليوس الكبير

❖ يهتم (الله) بالنفس، أي موضع القدرات والمشاعر والأحاسيس في كل إنسانٍ، **ليكون عاقلاً، وينال المعرفة، ويعمل ذكاؤه بشكلٍ لائقٍ** وسط حياة الجسد، فتصير مشاعره وإدراكاته (عب ٥: ١٤) صالحة.

العلامة أوريجينوس

[1] *In Illud Attende 1.*

٥

قوة الروح

في حياة أبينا القمص بيشوي كامل

يقف الكثيرون في دهشة أمام شخصية أبينا الحبيب القمص بيشوي كامل، كيف استطاع أن تكون له هذه الفاعلية في حياة الكثيرين وهو شاب قبل سيامته كاهنًا، وأيضًا بعد سيامته. كان ناجحًا في كل ما تمتد إليه يداه، أينما وُجد داخل القطر المصري كما في أرض المهجر. يندر أن تلتقي بإنسانٍ التصق به أو التقى معه دون أن يروي لك قصة عاشها معه، لا تزال لها أثرها في حياته.

ماذا وراء هذه الشخصية، سوى إيمانه العملي بقوة الروح.

الجسد ضعيف والروح نشيط!

عُرف أبونا الحبيب بنحافة جسمه، ومعاناته من الأمراض الملازمة له، مع بشاشة وجهه وقلبه الناري وروحه الملتهبة. وكما قال السيد المسيح عن تلاميذه وهو في طريقه إلى الصليب: "أما الروح فنشيط، وأما الجسد فضعيف" (مر ١٤: ٣٨).

إيمانه بقوة الصليب مُحطم قوى لإبليس وفاتح أبواب السماء، وإدراكه قوة روح الله القدوس جعل منه أشبه بنسمة هادئة مملوءة سلامًا داخليًا، تجتذب الكثيرين إلى التمتع بأمجاد الخلاص.

في عام ١٩٥٧ إذ كنت أقضي فترة خلوة في أحد الأديرة البعيدة سألني راهب: "هل تعرف سامي كامل؟" أجبته بالإيجاب، فقال لي: "**إني أشبهه بنسمة ريح هادئة تعبر على الإنسان، فيشعر بسلام داخلي وبهجة ويَعبُر دون أن تدري. تشعر به، لكن ما أن تتطلع إليه حتى لا تجده!**". ويمكننا تكملة العبارة: "لا تجده، لكنك تشتم رائحة المسيح الذكية، فتنجذب إلى الحياة السماوية".

تراه فتحبه، تشتاق أن تتحدث معه، لكنه لا يُقحم نفسه في حياة الآخرين!

مع ضعف جسده، ينطبق عليه قول القديس الأنبا بموا حين قبّل يدي القديس مقاريوس: "إن قوة عظيمة تخرج من هاتين اليدين الصغيرتين".

لم ينشغل بمشاريعٍ ضخمةٍ، ولا بمبانٍ فاخرةٍ، ومظاهرٍ جذابةٍ، لكن من هاتين اليدين تخرَّج خدام كلمة الله، وقادة فكر، انتشروا في مواقع كثيرة، يتلمذون بدورهم خدامًا للكلمة. كما كان ينشغل بإنشاء كنائس بسيطة من أجل الرعاية الروحية!

قوة الروح والهدف الواضح!

أبرز ما في شخصية أبينا منذ شبابه المبكر هو أخذ القرار الحاسم بالنسبة لحياته. لم يكن يشغله أن يحتل مركزًا معينًا، ولا التحاقه بديرٍ معينٍ، ولا سيامته كاهنًا، إنما أخذ قرارًا أن يكون سفيرًا للسيد المسيح أينما وُجد، وتحت كل الظروف، لم يَحِد عن هذا القرار يمينًا أو يسارًا.

إذ أُختير للكهنوت، ذهب ليستشير الأب متى المسكين إذ كان يحبه جدًا ويحب كتاباته، وعند عودته إلى الإسكندرية سألته عن مشورة الأب متى المسكين، أجابني أنه يُفضل أن ينضم إلى جماعته الرهبانية، إذ كان الأب متى يحبه ويثق فيه. وسألته: وما رأيك؟ أجابني مع محبتي للحياة الرهبانية، أشعر بالشوق الشديد لخدمة النفوس. في الصباح التقى بقداسة البابا كيرلس السادس، فقال له البابا: "أخذت المشورة؟!" أجاب: "أنا أستريح للخدمة". وكان قداسة البابا يحبه جدًا ويثق فيه.

سيم كاهنًا، وقدم حياته ذبيحة حب من أجل كنيسة المسيح، لا يُداهن أحدًا؛ حاسبًا كل لحظة من لحظات عمره يلزم أن تكون لخدمة ملكوت الله. كان رجلاً كنسيًا غيورًا، يحترم التقليد الكنسي بكل كيانه ويحرص أن يسلمه للجيل الجديد بلا انحراف، لكنه لم يستعبد نفسه للحرف القاتل، بل كان يمارسه بالروح. يجد في العبادة الكنسية من صلوات وأصوام ومطانيات وطقوس أخرى كنزًا يحتضنه، ويحفظه في قلبه، يختبر فيه روح التجديد المستمر.

حاول البعض أن يثنيه في بدء خدمته بالمهجر عن التمسك بطقوس الكنيسة، لكنه أصر على حفظها مع تقديمها بروح القوة الجذابة. كثير من المهاجرين يعترفون بأنهم اختبروا عذوبة الكثير من طقوس الكنيسة، واكتشفوا أسرارها في أرض المهجر أثناء خدمته، الأمر الذي لم يكونوا يعرفون عنه الكثير قبل هجرتهم.

حياته الكنسية متناغمة مع حياته الإنجيلية، في ممارسته للطقس تشعر أنه ملتصق بإنجيل الكنيسة؛ وفي دراسته وتأملاته في الكتاب المقدس تدرك أنه بالحق إنسان كنسي.

قوة الروح والكنيسة المنتصرة

عاش أبونا الحبيب في فترة عصيبة، لكنه كان يؤمن بقوة الروح القدس واهب النصرة والغلبة. يؤمن أن الضيق يوَّلد شهادة حقيقية ناجحة، وأن الكنيسة بمسيحها تتحدى الشر ولا تخشاه. لا يليق بالمؤمن أن يعيش بروح الخنوع والخوف، واثقًا في وعود الله الصادقة. كان يؤمن أن من لا يُحارَب في خدمته يلزمه أن يراجع نفسه لئلا يكون الشيطان مستريح لخدمته لأنها تعتمد على شكليات، أو تجتذبه للكرامة الزمنية.

من القصص التاريخية التي كثيرًا ما كان يستشهد بها، تلك التي دعاها "**إيمان البهلوان**":

في يوم تذكار ميلاد يوليانوس الجاحد أقيم حفل عظيم حضرته جميع الفرق الاستعراضية والبهلوانية لإحياء هذا اليوم العظيم. وتطوع بروفوريوس البهلوان الوثني أن يستعرض باستهزاء ما يقوم به المسيحيون من طقوس. ولكن عندما بلغ تقليد طقس المعمودية المقدس، وصلَّب على الماء باسم الآب والابن والروح القدس مُقلدًا دور الكاهن، عندئذ أضاء الرب عقله، فأبصر نعمة إلهية قد حلَّت على الماء، ونورًا عظيمًا غشاه. غطس بروفوريوس في الماء ثلاث مرات ثم صعد من الماء وارتدى ثيابه، وأقر أنه مسيحي. وإذ ظنه الحاضرون أنه يسخر بالمسيحيين أكد أنه قد قبل الإيمان المسيحي، ونال إكليل الاستشهاد بفرحٍ، وكان ذلك في يوم ١٨ توت، ثاني يوم لعيد الصليب المجيد!

هذه القصة كتبها في نبذة مستقلة، وكان يرددها بروح القوة في كثير من الاجتماعات، تأكيدًا لقوة الصليب والمعمودية.

❖ ارشموا أنفسكم بعلامة الصليب بشجاعة، ودعوا هؤلاء الشياطين يسخرون من ذواتهم[١].

القديس أنبا انطونيوس

قوة الروح والكرازة

كان قلب أبينا ملتهبًا بالروح، فكان يحرص في زياراته ولقاءاته مع شعبه ألا يتحدث عن السياسات الكنسية ولا المشاريع الكنسية، إنما كان يحث كل نفسٍ بطريق أو آخر نحو تمتعها بالشركة مع السيد المسيح، وشركة الأمجاد الأبدية. بل كان يشعر بالالتزام أن يحث كل مؤمنٍ أن يكرز بإنجيل المسيح. أما كيف؟ فقد كتب في إحدى نبذاته: "**مجرد اسم يوستينة أقوى كرازة**"، حيث يروي كيف حاول أحد أشهر سحرة العالم "كبريانوس" أن يستخدم كل قوى الشياطين لغواية الفتاة البسيطة يوستينة، لكن جميعهم فشلوا ورجعوا خائفين، وإذ هدد الساحر الشياطين المفترين أنه سيؤمن بالمسيح إن لم يأتوا إليه بيوستينة، تشكَّل أحدهم على شكل يوستينة. رحَّب الساحر بها مناديًا إياها باسمها، فلم يحتمل الشيطان اسمها، وتبدد على شكل دخان. عندئذ أعلن الساحر على الملأ: "أنا عبد يسوع المسيح. الإله الحقيقي، إله يوستينة".

"إن الله مستعد أن يكرز بمجرد اسمك يا أخي القارئ. بمجرد اسمكِ يا أختي القارئة... لو ثبتما في المسيح".

"كشفت لنا يوستينة أن سّر القوة الإلهية في الكرازة، **أن كل شاب أو شابة أو رجل أو امرأة يثبت في المسيح بالصلاة الدائمة ووسائط النعمة... يصبح مجرد ذكر اسمه قوة لا يُستهان بها. يصبح**

---

[١] القمص بيشوي كامل: إيمان البهلوان.

اسم الفتاة المسيحية نورًا، والشاب المسيحي نورًا... مجرد الاسم كرازة".

ما سجله أبونا في نبذته التي كان يحبها جدًا تكشف عن إدراكه لروح القوة في الكرازة بمجرد اسم المؤمن الحقيقي، هذا الفكر ينبع عن خبرته اليومية في عمل الروح القدس في حياته، كما عن عشق أبينا المحبوب لروح الكرازة والشهادة للحق الإنجيلي.

قوة الروح وكلمة الله

كان أبونا الحبيب يؤمن بأن سرّ القوة في كلمة الله، أنها روح وحياة، عذبة وجذابة. كلمة الله لم تفارق شفتيه. مع ما اتسم به من بشاشة، وما كان يسكبه على من يلتقي بهم من سلامٍ داخليٍ وفرحٍ، غير أنني لم أره قط ضاحكًا أو مازحًا على منبر الكنيسة، ولا في أحاديثه الروحية مع الشباب أو الخدام. كلمة الله تسكب عليه روح الجدية مع الرجاء، فلا يعرف العبوسة ولا الإحباط.

في معالجته للأمور الاجتماعية، مع مشاركته الآخرين بكل قلبه، لكن كانت كلمة الله هي دستوره، والسيد المسيح يُعلَن بوضوح في كل تصرفاته وكلماته.

قوة الروح والتحدي

اتسمت كلمات أبينا وتوجيهاته بروح التحدي، فقد اختبر قوة عمل الروح القدس الناري فيه، فلا يخشى الخطية ولا الشيطان ولا الظروف المقاومة للمؤمن.

- لا تدعوا قوة هذه النار تُنزع منكم، لأن حروبًا كثيرة كائنة لكم من الشيطان لأجل هذه النار المعطاة لكم من الرب لكي ينزعها منكم، لأنه يعلم أنه لا قدرة له عليكم مادامت نار الله فيكم[١].

القديس أنبا أنطونيوس

- إذا كان للنفس إقامة في شركة الروح القدس، فإن طول إقامتها في نار الروح ونوره الإلهي يحصنها ضد أية مضرة من أي روح شريرٍ، لأنه إذا اقترب من النفس يحترق بنار الروح السماوي[٢].
- إذا نالت النفس هذه النار السماوية ومحبة الروح، حينئذ تنفك عن محبة العالم، وتفلت من كل فساد الأهواء وتتغير طبيعتها من يبوسة الخطية[٣].

القديس مقاريوس الكبير

[١] القديس أنبا انطونيوس: رسالة ١٨.

[٢] القديس أنبا مقاريوس: عظة ٤.

[٣] القديس أنبا مقاريوس: عظة ٢٠.

قوة الروح والقطيع الصغير

تحت عنوان "**ضخامة القطيع الصغير**" سجل لنا أبونا الحبيب ما يشغل فكره وقلبه، ألا وهي الكنيسة. إنها القطيع الصغير الذي يعيش بأمانة، فيتهمه الأشرار أنه قطيع صغير شاذ، يتمسك بالعفة وسط جيلٍ يستعذب الخطية ويزهد المادة وسط مجتمع يتكالب عليها، ويحيا بالمسيح وإنجيله وسط عالم يهرب من صليب المسيح ونيره اللذيذ. يتناهى هذا القطيع في الصغر، فيحسبه العالم شاذًا لا حول له ولا قوة. يتطلع أبونا إلى قوة الروح الذي يقود هذا الجيل ويعمل فيه، فيتمتع بالوعد الإلهي: "لا تخف أيها القطيع الصغير، فإن أباكم قد سُرّ أن يعطيكم الملكوت" (لو ١٢: ٣٢).

يقول: [إنه قطيع يوم الخمسين، كان يُحمل ويتحرك بقوة الروح القدس النارية. هذه القوة العظيمة التي لروح الله هي التي عاشها ويعيش بها القطيع الصغير أينما سار في المسكونة كلها. خلاصة الأمر: إن الذي فيكم (في القطيع الصغير) أعظم من الذي في العالم (١ يو ٤: ٤). والقطيع الصغير لا يعوزه شيء إلا الإيمان فقط واكتشاف عظمة القوة الكامنة فيه. "هذه هي الغلبة التي تغلب العالم: إيماننا" (١ يو ٥: ٤). والصلاة هي الوسيلة لاستعلان هذه القوة في حياتنا.]

كما يقول: [إن دخول خراف القطيع بقوته الجسدية في صراع مع الذئاب لأمر يؤدي حتمًا للهزيمة، ولكن اعتماد الخراف على الإيمان بقوة الله الكامنة فيهم هي وحدها القادرة على غلبة الذئاب وتحويلهم إلى حملان.]

قوة الروح والعرس السماوي

تحت عنوان "**الروح والعروس**" سجل لنا أبونا الحبيب بروح القوة وفي اختصار دور الروح القدس، روح القوة في حياة العروس السماوية:

١. الروح القدس هو الذي **قام باختيار العروس** وقدمها للمسيح العريس السماوي، فإنه لا يقدر أحد أن يعرف المسيح إلا بالروح القدس (١ كو ١٢: ٣). إنه يدعو النفوس المخلصة التي تشتهي الحق ويهيئها للعرس، كما فعل مع الرجل الأممي كرنيليوس. فقد قيل عنه: "فاندهش المؤمنون... لأن موهبة الروح القدس قد انسكبت على الأمم أيضًا" (أع ١٠: ٤٥). وكانت هذه هي المرة الوحيدة التي حلّ فيها الروح قبل المعمودية كإعلان لدعوتنا نحن الأمم للإيمان. إنها دعوة خطبة الأمم للعريس السماوي. وفي خطاب بطرس الرسول نخس الروح القلوب للتوبة والإيمان (أع ٢: ٣٧). ونحن الذين وُلدنا من أبوين مسيحيين قُدمت لنا الدعوة مجانًا. ويوصينا الرسول أن نجعل دعوتنا واختيارنا ثابتين (٢ بط ١: ١٠).

٢. من شدة حب الروح للعروس، ومن أجل عظمة العريس الذي ستُزف له، **ارتضى أن يجعل نفسها وجسدها هيكلاً له** (١ كو ٦: ٩)، وذلك بمسحها بالميرون المقدس.

٣. **يزين الروح القدس العروس بمواهب سماوية** وثمار لائقة بعروس المسيح (غل ٥: ٢٢)، فتصير عروسًا طاهرة وجميلة ومزينة بكل أذرة التاجر (نش ٣: ٦).

٤. **يقود الروح القدس العروس** لتتحرك في توافقٍ كاملٍ مع حركة الروح، حيثما يسيرها الروح تسير (حز ١: ١٢)، حتى تصير معه روحًا واحدًا (رو ٨: ١٧).

٥. **يقدم الروح القدس للعروس احتياجاتها** خلال رحلتها؛ يهبها جسد ابن الله ودمه للحياة الأبدية، ويقدم لها الإنجيل مفتوحًا، يبلغ إلى مفرق النفس والروح والمفاصل والمخاخ (عب ٤: ١٢). يأخذ مما للمسيح ويخبرها (يو ١٦: ١٤)، فيصير لها فكر المسيح (١ كو٢١: ١٦)، وتحمل أيقونته.

٦. **يزف الروح القدس العروس للعريس السماوي.**

٧. أخيرًا، يحدثنا أبونا الحبيب عن **غيرة الروح على العروس وحزنه على انحرافها**. كتب أبونا [حضرت مرة سّر إكليل لعروسين في كنيسة مار مرقس بالإسكندرية، المكان الطاهر الذي سُفك دمه فيه، ثم علمت بعد ذلك أن موكب العروسين توجه من مار مرقس حيث حلّ الروح القدس إلى فندق... حيث أمضى الناس ليلتهم في حفلة مع راقصة شبه عارية حيث روح الشيطان! الرب يمقت هذا التعريج. إنه خيانة للروح القدس.

إنه يصرخ قائلاً: [آه وكم مرة وقفت أنا أيضًا أمام المذبح وحملت جسد الرب على يدي، ولم يكن القلب نقيًا ومملوءًا بحب الجميع! أليس هذا أيضًا تعريجًا؟!]

[وماذا عني أنا الكاهن الذي أخدم المذبح، كيف لا يكون لي روح واحد مع زميلي الكاهن ومع أسقفي ومع لجنة كنيستي؟ إنها كنيسة واحدة، لها روح قدس واحد!]

مسيحنا يصحح مفهوم القوة

يقدم لنا القديس مار يعقوب السروجي مقالاً يصحح فيه مفهوم القوة، قامت دار فيلوباترون بنشره تحت عنوان: "الخد الآخر والميل الثاني" عام ١٩٩٥م، جاء فيه:

١. **القوة والصليب**

❖ جاء القوي القادر، لكي يضع قوته على الصليب، لكي يخلص ويجدد، لكي يحيي؛ يحول القوي أي الموت من دمار وخسارة إلى حياة وخلاص وقيامة... أليست هذه أيضًا قوة؟

❖ كان الصليب رمز العذاب والموت، لكن الرب حوَّله إلى تاج الخلاص، وعلامة الحياة وختم ميراث الملكوت. مات على الصليب، وحوَّله بالقيامة إلى ينبوع خلاص. حوَّل الموت...

٢. القوة على فعل الخير

❖ (القوة) هي القدرة على صنع الخير، ترفق وشفقة، تواضع وبذل، خدمة وعطاء. فهل تقبل شريعة الحياة يا ثمرة التراب لكي تصبح غرسًا من غروس السماء في الابن الوحيد.

٣. القوة وتحويل الخد الآخر

❖ سألني أحد تلاميذ فلاسفة اليونان عن جدوى تحويل الخد الآخر، وقال: كيف يستقيم هذا التعليم ونظام الكون؟ بل أضاف: إن هذا التعليم يجعل الأطهار مطيعين للأشرار، ويعطي لكل أنواع الشرور فرص الانتشار، وهدم كل ما هو مقدس في المجتمع. سألت ذاك الرجل عن المغفرة في فلسفة اليونان. صمت برهة... هنا قلت له: "الفلسفة لا تهتم بالشفاء والتجديد وخلاص النفس.

٤. القوة والميل الثاني

❖ المطمئن إلى قوة المحبة يخاطر ويسير الميل الثاني لكي يكسر بوداعته سلطان الظالم. المحبة تطفئ نار الحروب، ومياه السلام وحدها تفرق براكين الخصام. كم قامت كلمة حانية بشفاء غضب جاهلٍ، وكم خلَّصت كلمة حق قيلت في وداعة ورفق ملكًا غاضبًا من الدمار. كم أنقذت ابتسامة صادقة رقيقة حياة من ألمٍ مدمرٍ.

لا تسخر من السلام، لأنه مثل المياه، فهل تستطيع أن تسخر منها في وقت العطش؟ لا تيأس من المحبة، لأنها مثل الهواء، فهل تيأس من الهواء الذي تتنفسه دائمًا.

٥. قوة الغضب

❖ لا تدع الشر يتسلل إلى قلبك خلسة أولاً بالغضب، لأن هذه القوة تحرك تنين الكبرياء، ويقتل هذا التنين كل من لا ينتبه إليه ولا يدرك أنه يختفي في ثنايا النفس[١].

القديس مار يعقوب السروجي

[١] راجع الخد الآخر والميل الثاني ٣، ٦، ١٤، ١٥، ٢٤، ٢٨. (دار فيلوباترون، القاهرة ١٩٩٥)

٦

الحب الحقيقي

في حياة القمص بيشوي كامل

تجيب حياة أبينا المحبوب القمص بيشوي كامل على تساؤلات الكثير من شبابنا المعاصر، هذا ما دفعني لكتابة مجموعة من النبذات تكشف عن الإنجيل كما عاشه أبونا المحبوب.

يتساءل البعض: إلى أي مدى أحب الآخرين؟

هل يمكن للإنسان أن ينفذ وصية تقديم الخد الآخر في عصرنا هذا؟

ألا يُحسب سير الميل الثاني لمن يطلب ميلاً واحدًا ضعفًا وتهاونًا؟

كيف أجمع في حياتي بين الحب للجميع إن أمكن مع الحزم؟

✞ ✞ ✞

رفضه أن يسمع في لوس أنجيلوس قصة معينة!

بسيامة أبينا بيشوي انجذب الكثيرون إلى السيد المسيح، وانفتحت القلوب للكنيسة وللكهنة، لأنهم رأوا فيه صاحب القلب المتسع حبًا! قلبه متسع بالحب للجميع! روى لي أحد الأحباء في لوس أنجيلوس القصة التالية:

[عندما جاء أبونا إلى لوس أنجيلوس عام ١٩٦٩ للخدمة، زارني في بيتي... فقلت له: "أتحب أن تسمع عظة جميلة وجذابة!" فأجاب بالإيجاب. وإذ بدأ يسمع العظة المُسجلة لأحد الآباء المشهورين سمعه يقول: "أنا تكلمت مع (فلان)، أي مع شخص له مركز عظيم في مصر." لم يحتمل أن يسمع أبونا بقية العظة، وقال لي: "أغلق المُسجل recorder".

سأله: "لماذا لا تريد أن تسمع؟"

أجاب أبونا: "الخادم الذي يفتخر بأنه يتحدث مع شخص عظيم عن المسيح لا يصلح لملكوت الله. هل مات المسيح عن العظماء دون الفقراء؟ هل نَفْس هذا العظيم أثمن من نفس خادم أو خادمة في بيت؟"]

لعل أجمل ما في حياته حبه للكل واشتياقه لخلاص كل نفسٍ، أيا كانت؛ دون تمييز بين غنيٍ وفقيرٍ، عظيمٍ ومُحتقرٍ، متعلمٍ وأميٍ.

الحب... هو سر قوته

سر قوة شخصيته لا تقوم على مواهبه المتعددة، وإنما على اتساع قلبه بالحب! ما أجمل العبارات التي افتتح بها قداسة البابا شنودة الثالث حديثه عنه، قائلاً إنه "صاحب نفسٍ كبيرة"! نفسه عظيمة في اتساعها، أبوابها دائمًا مفتوحة للجميع!

أتريد أيها الشاب أن تنعم بشخصية قوية، اعرف طريق الحب العملي الحكيم! كل تصرف كان يصدر عن أبينا يمارسه بهدفٍ جادٍ، حتى بشاشته وابتسامته.

أعرفه وهو شاب كأمين التربية الكنسية في كنيسة السيدة العذراء بمحرم بك، حين كنا نجتمع معًا لتهنئة خادم أو شاب لنجاحه أو عودته من سفر الخ، يحوّل الجلسة إلى اجتماع روحي بطريقة هادئة وبروح المرح اللطيف.

في حبه الحكيم تشتاق أن تجلس معه لتروي له همومك، لكنه لا يضع أنفه في حياة الناس". إنه كما قال السيد المسيح كالملح الذي يعطي للطعام نكهة عذبة دون أن يحول الطعام إلى الملوحة! يُحب ويُعطي، ويُجيب ويسمع، لكنه بحكمة يعرف عدم تدخله في حياة الآخرين، إلا في حدود ما هو لبنيانه.

الحب الحازم

عُرف أبونا بيشوي بحبه الحازم؛ فلم يكن يجامل على حساب الحق، ولا يُداهن لأجل الوجوه، ولا يهادن لعلةٍ أو أخرى... كان يحب الخطاة، ويترفق بهم كسيده، لكنه يرفض الدنس في الكنيسة بكل قوة وجرأة، خاصة إن كان الأمر يمس خادمًا أو قائدًا دينيًا أو يمس قدسية بيت الله.

كان في حبه يفتح صدره للكل، لكن ليس على حساب العقيدة المستقيمة أو الحق أو القداسة. وله في هذا مواقف كثيرة يصعب عرضها، أذكر منها:

أثناء خدمتي بلوس أنجلوس كتب إليَّ رسالة جاء فيها أن قداسة البابا شنودة يتصدى بمفرده لانحراف عقيدي يتسلل إلى الكنيسة خلال (فلان) وكان يلزم أن يقف كل الكهنة والخدام معه بكل قوة!

في أيامه الأخيرة إذ لم يكن قادرًا على مغادرة الفراش طلب مني أن التقي بقداسة البابا لأخبره عن "فساد" ما، لكي يتصرف بحكمته المعهودة، إذ كان يشعر أن صمته على هذا الفساد وهو على فراش الموت يجلب غضب الله على الكنيسة!

إذ سافرت للخدمة في لوس أنجلوس التي أسسها أبونا بيشوي قال لي: "إنني لأول مرة في حياتي اضطررت أن أحرم شخصين، لكنني لا أريد العودة إلى مصر قبل إعطائهما الحِلّ". أما سبب الحرمان فهو أنه بعد شرائه الكنيسة طلبا منه، وهما شخصان لهما شهرتهما، أن يهتم بالصلاة والاجتماعات الروحية ويترك لهما صالة الكنيسة ليمارسا مع غيرهما أنشطة ترفيهية يُسمح فيها بالخمر والرقص...

هنا وقف أبونا يتصدى للموقف بكل حزمٍ!

مع حرمانهما ذهبنا معًا لزيارتهما في أول يوم من وصولي، وإذ استقر الأمر بين كل الشعب على احترام قدسية الكنيسة أعلن عن إعطائهما الحِلّ قبل مغادرته لوس أنجلوس!

والعجيب في الأمر أنه مع حرمانه لهما كان يقول لي قبل أن أتعرَّف عليهما إنهما شخصان لهما مواهبهما، وأنهما حسنا النية، ومخلِصين، وإن طلبهما هذا وإصرارهما عليه كان من واقع اختلاف فكرهما عن التيار الروحي. وأنه قد تصّدى لتصرفاتهما، لكنه لا يريد أن تخسرهما الكنيسة. فهو يستخدم الحزم، لكنه أيضًا يلاطف ويحب، في غير تهاونٍ بقدسية الحياة الكنسية.

أكتب اليك أيها الشاب عن هذه السيرة العطرة لكي تتمثَّل به كما هو بالمسيح، فنحيا بروح الحب الحازم، بقلبٍ متسعٍ يحمل في داخله الله محب البشرية، لكنه لا يسمح للشر أن يتسلل إليه.

لقد عاش أبونا بيشوي بفكر إنجيلي كنسي آبائي:

- "فإني أنا كأني غائب بالجسد، ولكن حاضر بالروح قد حكمت كأني حاضر في الذي فعل هذا هكذا. باسم ربنا يسوع المسيح... أن يُسلَّم مثل هذا للشيطان لهلاك الجسد لكي تخلص الروح في يوم الرب يسوع... ألستم تعلمون أن خميرة صغيرة تخمر العجين كله؟! إذًا نقوا منكم الخميرة العتيقة لكي تكونوا عجينًا جديدًا كما أنتم فطير... (١ كورنثوس ٥).
- (التهاون مع الخطاة غير التائبين) ليس فضيلة، بل هو ضعف؛ إنها ليست محبة أو وداعة، بل هي قسوة على تلك النفوس التي يُغفل عنها، فتهلك دون أن تتيقظ لخرابها!
- التوبيخ يجب أن تسبقه الرحمة لا الغضب.

القديس أغسطينوس

- من يرعى الخراف لا ينبغي أن يكون أسدًا ولا نعجة.

القديس يوحنا الدرجي

- أدِّب بخوف الله ولا تشفق، ولا تأخذ بوجه كبيرٍ أو صغيرٍ، بل اقطع بكلام الحق باستقامة.

القديس أنبا أنطونيوس

- لا يليق بالأطباء أن يسخطوا على المرضى، بل يجب عليهم أن يضادوا الأمراض ليشفوا المرضى.

القديس باسيليوس الكبير

- إذا لم يُبعد الإنسان المخالف عن كنيسة اللَّه، تُصَّيرون بيت اللَّه مغارة لصوص...

❖ ارع القطيع لا بضجرٍ ولا بهزءٍ، كأن لك سلطان عليهم، بل كراعٍ تجمع الخراف إلى حضنك، وتُقوي الحبالى.

الدسقولية (باب ٤)

علمني أيها الحب كيف أحب!

❖ هب لي أيها الحب الحقيقي روحك القدوس الناري، فيلتهب قلبي بنار حبك.

تشرق نفسي بك على الجميع، فأرى في الكل خليقتك المحبوبة!

❖ علمني أيها الحب كيف أحب! لقد ترفقتَ بالخطاة والعشارين، غفرتَ للزانية خطاياها،

ودخلت بيت العشار، وفتحتَ فردوسك للص اليمين.

بحبك لم تجرح مشاعر خاطئٍ جريحٍ، بل كنت دومًا تسند وتضمد!

بحبك طردت باعة الحمام والصيارفة، لا ليبقوا دومًا خارج الهيكل،

وإنما ليتأهلوا بالتوبة للتمتع بمقدِسك!

وبحبك وبَّخت الكتبة والفريسيين المرائين، مشتاقًا أن يدخلوا بروح التواضع إلى أحضانك!

❖ عجيب أنت في حبك، قال عنك بيلاطس: تجتذب الأطفال الصغار، ويأتيك الخطاة تائبين،

ويهابك الفريسيون الأشرار، ويخشون لقاءك.

❖ لتسكن أيها الحب في قلبي، فأمارس الحب الحق بلا مداهنة،

وأحيا حازمًا شجاعًا بروح الوداعة!



٧

الأبوة والتلمذة

في حياة القمص بيشوي كامل

التلمذة عند الرسول بولس

إذ كنت مشغولاً بالكتابة عن "لقاءات متهللة في رسائل معلمنا بولس الرسول"، شعرت بأهم سمات الرسول، ألَا وهي الأبوة والاهتمام بالتلمذة.

أينما وُجد الرسول كان يشهد للسيد المسيح الذي يشبّه نفسه بالدجاجة التي تجمع فراخها تحت جناحيها (مت ٢٣: ٣٧). صورة رائعة للأبوة أو الأمومة أو الأخوَّة الحانية التي تشتاق أن تجمع فراخها ليختبروا الحب الصادق والحنو، فيشتاقوا هم أنفسهم أيضًا أن يمارسوها مع الآخرين.

لقد بث الرسول بولس روح التلمذة، فتلمذ الشاب تيموثاوس، وأيضًا تيطس، والغني فليمون، وعبده الهارب أُنسيمس، والعائلة أكيلا وبريسكلا اللذين احتضنا الكارز أبلوس وكشفا له عن معمودية المسيح، وفيبي الشماسة وكثيرين نعرف أسماء بعضهم من رسائله، وبعضهم لم نعرف أسماءهم.

سرّ نجاح الرسول بولس هو اهتمامه بكل من يلتقي به، فيحتضنه كتلميذٍ خاص له، ويقيم منه سفيرًا للمسيح، فيُتلمذ آخرين.

في حكمة بالغة أوضح أنه من أجل محبته لأهل تسالونيكي استحسن أن يحرم نفسه من تلميذه المحبوب تيموثاوس مرسلاً إياه لهم. وكأنه يقول لهم أن إرسال تيموثاوس إليكم ليس استخفافًا مني بكم، ولا هو امتناعًا مني عن الحضور إليكم، وإنما هو من قبيل محبتي لكم، ففضلتكم عن نفسي، وقبلت أن أُترك وحدي في أثينا (١ تس ٣: ١-٢) لتتمتعوا أنتم بحضوره إليكم. كما أظهر أيضًا تواضعه بكشفه عن عوزه الشديد لتلميذه تيموثاوس، حتى حسب نفسه كمن يعيش وحيدًا بدونه. إنه في حاجة ماسة إليه!

التلمذة عند أبينا المحبوب بيشوي كامل

في عصرنا الحالي اتسم أبونا الحبيب بيشوي كامل بهذه السمة. لقد برزت في حياته وتصرفاته حتى قبل الكهنوت. إذ كان خادمًا في التربية الكنسية بكنيسة السيدة العذراء بمحرم بك، وعندما ترك الأمين العام للتربية الكنسية بالكنيسة الإسكندرية، اجتمع كل خدام الكنيسة معًا، وكان عددهم كبيرًا فاقترح أحدهم اختيار سامي كامل (أبونا بيشوي فيما بعد) ليكون الأمين العام، وإذا بالكل وافقوا بالإجماع بفرحٍ

وبهجة. لكن خشي البعض أنه يرفض. فاختير على ما أظن اثنان أو ثلاثة أكبر منه سنًا أن يتحدثوا معه كي لا يرفض.

ممارسته للتلمذة لم تبدأ باختياره خادمًا أو أمينًا للخدمة، وإنما كان يمارسها تلقائيًا وهو شاب صغير.

علامات ممارسته للتلمذة

١. أخبرني أكثر من شخص أنه إذ كان طفلاً ضربه أحد الأطفال فصار يبكي في فناء الكنيسة. عند دخول سامي من باب الكنيسة لاحظه يبكي فاحتضنه وسأله عن سبب بكائه، وإذ أخبره بما فعله زميله الطفل الآخر به، لاطفه وقال له: "لا تبكِ إنه أخوك وهو يحبك". ثم ذهب إلى الضارب وبلطفٍ أخبره أن الذي ضربه أخوه الذي يحبه، وقام بمصالحة الطفلين وبث فيهما روح الصداقة.

٢. في عام ١٩٩٤ إذ ذهبت للخدمة بعد نياحة أبينا المحبوب القمص غبريال أمين بكنيسة القديس مرقس الرسول بجيرسي سيتي، في زياراتي للشعب كثيرون كانوا يقولون لي: "أنا الصديق الشخصي لأبينا بيشوي كامل الذي كان يخدم بكنيسة الشهيد مار جرجس والقديس أنبا أنطونيوس بجيرسي سيتي عام ١٩٧٤ م، كان يهتم بي وبأسرتي كأننا الأصدقاء الوحيدين له".

٣. امتاز في زياراته أن يحاول تشغيل كل شخصٍ حتى الشيوخ المسنين والأطفال والنساء. مع تشغيل الأشخاص يحرص أن يحثهم على الحياة الروحية الجادة. فالعمل بالنسبة له ليس غايته مجرد الالتصاق بالكنيسة، بل أن يصير الشخص عضوًا حيًا في الكنيسة كإنسان الله الملتهب حبًا لله، يهتم بخلاص نفسه وخلاص إخوته.

٤. حرصه الشديد على تكريس وقت الكاهن في العمل الإيجابي. في لقاءاتنا المستمرة هو وأبونا لوقا وضعفي لم أذكر يومًا أننا كنا نمدح بعضنا البعض، لكن كان يتحدث عن نقط الضعف في الكنيسة في كل اجتماعاتنا والحلول الإيجابية لمعالجة أي ضعفٍ بها.

خطوات عملية في التلمذة

١. يليق بمن يشتاق أن يتلمذ الآخرين أن يجلس عند قدمي المخلّص يتتلمذ على يديه، **ويعيش معه،** فيسلك بقيادة روحه القدوس. بهذا يحمل من هم حوله في قلبه، ويقدمهم للربّ الذي يقوم هو بتلمذتهم له، ويهبهم إمكانيات شبه سماوية. بهذا لا تتحول التلمذة إلى حوارات ومناقشات جافة، بل تصير تمتعًا بالحياة المقدسة في الربّ.

كتلاميذ للربّ يتمتع القائد وتلاميذه – إن صح التعبير – بما قال الربّ: "إن ثبتم في كلامي فبالحقيقة **تكونون تلاميذي**، وتعرفون الحق، والحق يحرركم" (يو ٨: ٣١). التلمذة ليست مجرد محاضرات يلقيها

الشخص على تلاميذه، ولا استعراض لمفاهيم يقدمها لهم، إنما هي عطية مجيدة يقدمها الشخص المختفي في المسيح كي يقود الربّ التلاميذ، ويحسبهم تلاميذه.

ما يشغل قلب المؤمن في تلمذته للآخرين هو أن يطلب من الله أن يفتح عيني كل شخصٍ ليدرك خطته الإلهية نحوه، ويتعرف على رسالته، ويضرم وزناته بروح القداسة.

٢. لكي تكون التلمذة فعَّالة ومثمرة يليق بالمؤمن ألاَّ يؤله نفسه ولا أن يؤله أي إنسانٍ مهما كان مركزه الكنسي أو قدراته اللاهوتية أو نسكياته. بهذا يقبل القائد أي نقد موجه إليه بقلبٍ متسعٍ، وفكرٍ مقدس، ويحسب كل نقدٍ هو لبنيانه شخصيًا. ومن الجانب الآخر يؤكد بكل وسيلةٍ لطالبي التلمذة أن أبواب الرجاء مفتوحة لكل إنسانٍ مهما كانت خطاياه، ولو كان على سرير الموت!

٣. يليق بالقائد الحقيقي ولو كان شابًا صغيرًا أن يضع في قلبه أن رسالة السيد المسيح أن يقيم منا تلاميذ له، لا تقف عند الصليب دون القيامة، ولا القيامة دون الصعود. لهذا لم يرسل السيد المسيح روحه القدوس على تلاميذه إلا بعد صعوده حتى تنطلق قلوبنا معه وقلوب من نشتاق أن يكونوا تلاميذ للمخلّص إلى المسيح الصاعد إلى السماوات. يليق بالقائد وتلاميذه ألاَّ يكفوا عن طلب الاستنارة كي يقيم لنا الروح القدس كشفًا لسرّ الله.

٤. **التلمذة وعذوبة حمل الصليب:** ما دامت التلمذة في جوهرها هي تمتع بالشركة مع السيد المسيح المصلوب، لذا يليق بالتلاميذ أن يروا في قائدهم كيف يمارس الصلب مع المسيح بفرحٍ. ويتمم ما قاله الربّ: "إن كان أحد يأتي إليّ ولا يبغض أباه وأمه وامرأته وأولاده وإخوته وأخواته حتى نفسه، فلا يقدر أن يكون لي تلميذًا، ومن لا يحمل صليبه ويأتي ورائي فلا يقدر أن يكون لي تلميذًا" (لو ١٤: ٢٦-٢٧). لا يستطيع القائد أن يفعل هذا ما لم يلتحق هو أولاً بمدرسة السيد المسيح، ويختبر عذوبة الشركة معه ويستنير كل كيانه بنوره الإلهي وحبه وفرحه، فيُسرّ أن يضعف مع الضعفاء، مقتديًا بمسيحه الذي صار عبدًا مصلوبًا لكي يحرر البشرية من عار الخطية، وتتمتع بعربون الحياة السماوية.

✞ ✞ ✞

٨

خدمته والتمتُّع بأيقونة المسيح

تكشف خدمة أبينا بيشوي في كل مراحلها وكل مجالاتها عن هدفه الذي يوجه كل حياته، ألا وهو التمتع بالشركة مع الثالوث القدوس، ونموه العملي المستمر في تمتعه أن يكون أيقونة المسيح حتى النفس الأخير من حياته.

أولاً: خدمة التربية الكنسية واللقاء مع الثالوث القدوس

١. ظهر هدفه بوضوح في حياته كخادم في التربية الكنسية بكنيسة السيدة العذراء بمحرم بك أو كأمين عام للتربية الكنسية بالكنيسة، خلال **ملامح الحب والفرح بالله والناس**. امتزجت ابتسامته الدائمة بالسلوك في وقارٍ وبجديةٍ، سواء مع خدام التربية الكنسية أو المخدومين من أطفال وصبيان وشباب سواء داخل الكنيسة أو في اللقاء مع الخدام في كلماته الروحية والحفلات والاجتماعات بمنازل الخدام. بهذه الروح كان كل شخص من الخدام والمخدومين يشعر بعمل الله فصار سامي كامل الصديق الشخصي لكل شخص من الخدام والمخدومين. كل حياته الداخلية، وسلوكه الخفي والظاهر، ومعاملاته تعلن بوضوح عن خبرته بالشركة مع الثالوث القدوس العامل فيه وفي مُحِبّيه ليكون الكل "شركاء الطبيعة الإلهية" (٢ بط ١:٤). لا يدعو إلى ممارسة فضائل خارجية بل إلى الإتحاد بالسيد المسيح، والامتثال به، فيكون لنا حب الرب، وقداسته، وصبره واحتماله وطول أناته ووداعته وبساطته. يتحقق هذا بالنعمة الإلهية، لهذا يقول الرسول: "لكي تصيروا بها شركاء الطبيعة الإلهية هاربين من الفساد الذي في العالم بالشهوة" (٢ بط ١: ٤).

٢. في خدمته وهو شاب لم يكن يبدأ أية خدمة بدون صلاة قصيرة مع تسبيح بلحنٍ أو ترنيمةٍ يشعر فيها من هم حوله أنه متهلل بالروح. يقول الرسول: "فما هو إذًا أيها الإخوة؟ متى اجتمعتم فكل واحدٍ منكم له مزمور" (١ كو ١٤: ٢٦).

٣. كان يهتم بالطقس الكنسي في عبادته الخاصة أو الجماعية بترتيبٍ ونظامٍ وبدقة في كل شيءٍ، بفكرٍ إنجيلي مُبهِج ونمو دائم كقول الرسول: "ليكن كل شيء بلياقة وبحسب ترتيب" (١ كو ١٤: ٤٠). فيه يتحقَّق قول القديس يوحنا الذهبي الفم إن أعظم معجزة يفعلها مسيحنا المُخلِص أن يقيم من أرضنا سماءً، ومن المؤمن كائنًا شبه سماوي وملائكي.

٤. كان على علاقة قوية للغاية بالقديسين والسمائيين، يشعر أنهم إخوته الكبار الواقفون أمام العرش الإلهي يطلبون من أجل خلاص كل البشرية، ويترقَّبون بشوقٍ عظيمٍ انطلاقنا إلى الفردوس، للترحيب بنا، وتمجيد الله على عمله الخلاصي الفائق.

ثانيًا: دعوته للكهنوت

١. **السَفَر للخارج:** بينما كان يتوقَّع السَفَر للخارج في بعثة علمية كمعيدٍ في كلية التربية، إذ به يُدعَى للكهنوت. وكإنسان يبحث عن خلاص نفسه وخلاص إخوته لم يكن للعالم موضعًا في فكره وقلبه، فالتجأ إلى الله لا يطلب المشورة من إنسانٍ ما، بل سلَّم الأمر في يدي الله. رأى سامي كامل في الكهنوت إمكانية إعداد قادة من الشباب للعمل الروحي في كرم الرب. كان مفهومه للحياة الكنسية هو العمل لخلاص البشر بروح الصلاة مع الحب وتشجيع كل شابٍ للعمل بجدية في ملكوت الله.

٢. **تقديره للمواهب المتعددة:**

أ. قبل سيامته كاهنًا، كان بالقاهرة مدرستان رئيسيتان: مدرسة كنيسة الأنبا أنطونيوس بشبرا تميل إلى الاهتمام بالحياة النسكية الداخلية وكان يُمَثِّلها نظير جيد (أي نيافة الأنبا شنودة أسقف التعليم، وقد أُختير بطريركًا فيما بعد). ومدرسة خدام الجيزة ويُمَثِّلها الأب مكاري السرياني (أي نيافة الأنبا صموئيل أسقف الخدمات الاجتماعية والمسكونية) اتهمها البعَض أنها تركز على الفكر الاجتماعي، والحق يُقَال إن المدرستين كانتا تضمان قادة رائعين. ولكل مدرسة لها دورها الحي في الحياة الكنسية والخدمة. لم ينحز سامي كامل لإحداهما على حساب المدرسة الأخرى. كان يؤمن أنهما يتَّسِمان بالحُبِّ ووحدة الهدف، يعملان لبنيان ملكوت الله، كان يشتاق أن تقبل كل مدرسةٍ ما هو مبارك في المدرسة الأخرى، دون إضاعة الجهد والوقت في حوارات جافة غير بنَّاءة.

يظهر اتساع قلب أبينا بيشوي ونقاوة فكره أنه في خلال السنة الأولى لسيامتي، ذهب إلى مؤتمر بأوروبا والتقى هناك بنيافة الأنبا صموئيل. وعندما سألته عما استفاده من المؤتمر، قال لي: أروع ما استفدت به هو اكتشافي لشخصية نيافة الأنبا صموئيل. ففي كل ليلةٍ كان يقضي فترات طويلة معي، وتلمست فيه روح الحُبّ واتساع القلب والروحانية العميقة في قلبه بخلاف ما كان يظنه البعض أنه إجتماعي بحت بلا روحانية!

ب. كان لنا لقاءات محبة معًا هو وأبونا لوقا سيداروس وضعفي. في إحدى اللقاءات قال: "إن تحدث أي كاهن منا عن السياسات الكنسية أو عن أخبار البطريركية أو الأساقفة أو الكهنة أو الخلافات بين القادة الكنسيين، يقول له الاثنان: "لا نريد أن نسمع" ونحول الحديث إلى ما فيه نمونا الروحي ونمو الشعب روحيًا.."

ج. كثيرًا ما كان يُرَدِّد بيننا أنه يليق بنا أن نحب الجميع دون تحيُّزٍ لشخصٍ ما. سألته يومًا: "ما رأيك في أبينا الأب متى المسكين؟" أجابني: "أنت تعلم أني أحب كتاباته، خاصة كتاب "حياة الصلاة" الطبعة الأولى لأنها كانت مبُسَطَّة للغاية." كان يطلب من المعترفين أن يقرأوا القسم الخاص بالأنشطة الخارجية مثل الصوم والمطانيات الخ. وكان يخشى أن يسيء المبتدئون في الحياة الروحية فهم الحديث عن الدهش والتأمل الخ.

ثالثًا: الالتزام بروح الاعتدال في كل شيءٍ

تتسم شخصية أبينا بالاعتدال، دون تطرفٍ يميني أو يساري.

١. تفكيره الدائم في محبة الله، ونعمته المجانية، وأبوته للمؤمنين، وترفُّقه بالساقطين، مع اقتنائه مخافة الرب فلن يسمح لنفسه أن يجلس على كرسي داخل الهيكل، إذ يشعر أنه في السماء أمام عرش الله. واضطر تحت ضغط المرض الشديد والعجز عن الوقوف أن يجلس ليتمتع بالشركة في القداس الإلهي.

٢. في صلاته بالقداس الإلهي يكاد يقف على مشط قدميه وهو يصرخ كمن يرغب أن يطير إلى السماء لينعم بالأحضان الإلهية.

٣. روى لي شماس أنه وهو طالب غالبًا في الثانوي أو بداية دراسته الجامعية، كان يشترك في خدمة الهيكل في وسط الأسبوع. وفي إحدى المرات حدثت حركة غريبة في صحن الكنيسة، فالتفت نحو صحن الكنيسة. تطلع إليه أبونا بيشوي بنظرة تحمل عدم رضاه على تصرُّفِه. وبعد القداس الإلهي قال له: "كيف تُحَوِّلَ نظرك من المذبح إلى صحن الكنيسة". لو اشتعلت نار، لا تُحَوِّل نظرك عن الذبيحة، مسيحنا قادر أن يطفئ النيران".

٤. لم تكن لديه إجابات يحفظها، بل كان يرشد كل مؤمنٍ بما يناسب قامته الروحية وظروفه الصحية والأسرية وقدراته ومواهبه.

٥. كان متواضعًا جدًا خاصة مع الأطفال الصغار، لكنه لا يتهاون مع الخطية في حياة القادة من الشعب كما مع رجال الكهنوت.

٦. كان محبًا للعطاء بسخاء والبذل دون إسراف أو تبذير.

٧. لا يقبل الانحراف، وفي نفس الوقت إذ يتحدث مع من كان منحرفًا لا يجامله على حساب الحق الإلهي وفي نفس الوقت لا يجرح مشاعره.

رابعًا: اهتمامه بحياة التوبة والاعتراف

ليس ما يشغله في رعايته مثل التمتُّع بحياة التوبة والاعتراف بفكر روحي سليم. هذا ما نلمسه عمليًا في خدمته:

أ. إذا ما قمنا بزيارة مشتركة وطلب أحد أفراد الأسرة موعدًا للاعتراف، يسأله إن كان مستعدًا للاعتراف فورًا، فيأخذه في أية حجرة ليجلس معه فيها، إذ يخشى إن أعطاه موعدًا ليومٍ متأخر قد يفتر الشاب روحيًا.

ب. رأى شابًا في الطريق بجوار الكنيسة فوقف وسأله عن تأخره في الاعتراف، وإذ تجاوب الأخ معه طلب منه أن يركب السيارة معه ليعترف، فاستأذنت منهما للخروج من السيارة وجلس الشاب للاعتراف. وإذ عدت إلى السيارة قال لي: "الشيء الوحيد الذي أطلب ممارسته فورًا هو قبول اعتراف أي شخص في أي مكان، إذ أخشى أن يفقد روح التوبة."

ج. يحرص دومًا ألا يتحوَّل الاعتراف إلى سرد قصص، لهذا لا يطلب أية تفاصيل إلا عند الضرورة لإرشاد المعترف.

د. في قبوله للاعتراف، يحرص ألا يتدخَّل في حياة المعترف الخاصة، فلا يُقَدِّم له أسئلة خاصة به، كما يرفض الدخول في تفاصيل الخطايا لئلا تثير المعترف نفسه أو تفسد نقاوة أُذُن الكاهن.

هـ. في جلساتنا معًا، كثيرًا ما كان يفتح موضوع الاعترافات. كان عدد الطلبة الوافدين من الوجه القبلي والبحري كثيرًا جدًا لعدم وجود كليات في غير القاهرة والإسكندرية وأسيوط في ذلك الوقت. في إحدى الجلسات طلب توزيع أسماء الطلبة كل خمسة أشخاص معًا، إما حسب الكلية أو حسب العناوين. ويقدم أب الاعتراف للمعترف أن يفتقد خمسة أشخاص ويهتم بهم. بهذا يتدرَّب الشباب على خدمة الافتقاد.

و. كان يُطالِب المُتغرِب أن يخدم بلده أو قريته روحيًا في إجازة نصف السنة والاجازة الصيفية. كان يؤمن بأن كل عضو في الكنيسة يلزمه العمل الروحي لبنيان ملكوت الله ونموه.

ز. كان جادًا في بث روح الرجاء مهما كانت سقطات الإنسان المعترف.

ح. يرفض سرد الأخطاء من ورقة مكتوبة، إنما يطلب من المعترف أن يكشف عما في قلبه حتى وإن نسي بعض الخطايا، حتى لا يتحوَّل الاعتراف إلى روتين في حرفية جافة.

خامسًا: اهتمامه بافتقاد الأشخاص والعائلات

بعد شهر تقريبًا من بدء خدمتي الكهنوتية، سألني: "كم أسرة قمت بزيارتها هذا الشهر؟ أجبته أنني لأول مرة زرت هذه العائلات، لذلك كنت أفتقد ثلاث عائلات يوميًا فيما عدا يوم السبت لحضور العشية،

فقدَّم لي خبرته في الافتقاد.

أ. إنه يزور ما بين خمس وسبع عائلات يوميًا. لا تزيد الزيارة عن ٢٥ إلى ٣٥ دقيقة.

ب. تدور الجلسة حول قراءة جزء من الكتاب المقدس والتعليق الروحي عليه.

ج. شركة الأطفال في الزيارة.

د. الحذر من إفساد الشيطان لهدف الزيارة، خلال التساؤل عن مشروعات الكنيسة وأنشطتها، إنما تكون الشركة مع الله هو هدف الزيارة.

هـ. محاولة تشغيل كل فردٍ في عمل روحي وخدمة روحية.

و. عدم التحدُّث في السياسات الكنسية.

ز. عدم الدخول في خصوصيات الأسرة.

ح. إن وجدت مشكلة عائلية يُفَضِّل الذهاب إلى هذه الأسرة بعد آخر زيارة حتى لا تسحب وقت الكاهن فيُحرَم من زيارة بقية الأسر.

ط. تنتهي الزيارة بصلاة إما من الكاهن أو أحد أفراد الأسرة.

سادسًا: اهتمامه بخدمة الكاهن المُسَام حديثًا

ما يشغله عند سيامة الكاهن المُسام حديثًا الآتي:

١. لا ينشغل بمجرد الاحتفال بسيامته، إنما يؤكد للشعب عدم التمييز بين الكهنة الذين هم أقدم منه في السيامة والكاهن الحديث السيامة، فعند سيامتي كاهنًا طلب مني أن أقوم بزيارة أحد القسمين من المنطقة في خلال ستة شهور وهو يقوم بزيارة القسم الثاني، ثم نتبادل القسمين، حتى يشعر الشعب بوحدة الخدمة.

٢. يعلن للشعب أن من يريد الاعتراف عند الكاهن الجديد لا يحتاج أن يطلب الحلّ من أب اعترافه.

٣. في أول عيدين بعد السيامة (القيامة والميلاد) يستلم الكاهن المُسام حديثًا الذبيحة والعظة، وخلال السنة يتفق الكهنة على توزيع الخدمات دون تمييز بينهم، هذا ولا يقبل نهائيًا أن يُقَدِّم أحدهما الآخر حتى لا يتشتت فكر الكهنة أو الشعب، إنما يعرف كل كاهن دوره سواء في الصلوات أو الوعظ.

٤. يهتم جدًا أن يكون النطق سواء في الصلوات أو التسابيح أو القراءات الكنسية أو الوعظ واضحًا حتى الحرف الأخير من كل كلمة حتى لا يجد المستمعون صعوبة في رفع قلوبهم إلى السماء.

٥. يؤكد للكاهن المُسام حديثًا أن يضع في قلبه تهيئة الصبيان والشباب لممارسة مواهبهم بجدية وفي تواضعٍ، وألا يستخفّ بأحد مهما كانت ضعفاته.
٦. له تعليقات بسيطة مع الكهنة لبنيان نفوسهم وعدم الانحراف عن الهدف.
٧. إن سمع من الشعب أي نقد لكاهنٍ منا يتحدث مع الكاهن بروح الحب والصراحة.

تصنيف شخصيته

يقف الإنسان في حيرة، إلى أية فئة تنتمي هذه الشخصية العجيبة؟

رجل الإنجيل: تسمعه يتكلم أو يناقش أو يعظ، فتشعر كأنه قد كّرس كل حياته ووقته ومشاعره للكتاب المقدس، بأعماق متجددة على الدوام. يتذوق عذوبة كلمة الله.

رجل كنسي: يشعر دومًا أنه مدين للمذبح، في كل شيءٍ، يُلقي بالمشاكل الكنسية والأسرية والرعوية على المذبح، وكأنه قد حوّلها إلى الله، إله المستحيلات، محب البشر، والمعتني بالجميع. كرجلٍ كنسيٍ يحترم القيادات الكنسية في أعماقه بغير مداهنة.

خادم الشباب: مع ما اتسم به من حزم يترفق جدًا بالكل، خاصة الشباب والفتيان والأطفال. لن يغلق أبواب الرجاء أمام أحد. بابتسامته حتى في لحظات الاعتراف يكسب الكل!

راعٍ غيور: يفتقد بلا توقف، كان يطلب منا ألا يرجع أحد إلى بيته ما لم يفتقد ما بين ٥ و٧ عائلات. زيارته غالبًا ما لا تزيد عن نصف ساعة. لا يفسد الوقت بالحديث عن مشروعات الكنيسة أو أخبار الكنيسة، إنما يشغله تمتع الحاضرين بالعشرة مع الله.

عاشق لكتابات الآباء والاحتفال بأعياد القديسين: يهوى كتابات الآباء ومفاهيمهم، يعيشها ويرددها، لا في جفاف الحرف، بل بفكرٍ روحي عملي. ألهب الإسكندرية بحب القديسين، ليس بسرد معجزاتٍ لهم، بل بإبراز حياتهم كأيقونة حية للمسيح. كان يشعر مع كل صباحٍ أن قديس اليوم يسنده بصلواته.

لاهوتي يقظ ومعاصر: أذكر تنهده وقوله: "كلنا تركنا قداسة البابا شنودة الثالث وحده يقاوم الانحراف العقيدي لفلان..."

كان يكتب اللاهوتيات بأسلوب معاصر يفهمه البسطاء.

خدمة عميقة متجددة!

ما هو سرّ نجاح خدمته؟ انعكست حياته المتجددة على خدمته. غالبًا ما ينشغل بفكرة معينة يعيشها لمدة أسابيع تبلغ حوالي الشهر، تسمعه يناقشها في كل بيتٍ، وفي كل عظةٍ، وفي اجتماعات الخدمة، لكن ليس في تكرارٍ مملٍ، وإنما في دخول إلى أعماق جديدة باستمرار.

اذكر قوله: "إني أحب (فلان) كشخصية كنسية قائدة، لكن خدمتي وخلاص النفوس أثمن من أية علاقات شخصية. كان يؤمن عمليًا بأن القائد الناجح هو الذي لا يهتم باحتياجات جيله فحسب، إنما يتطلع إلى عشر أو عشرين عامًا مقدمًا ليُعد الكنيسة لاحتياجات الجيل القادم. **يليق بالقائد أن يسبق غيره في التفكير**.

إن سُئل: من هو القائد الحي؟ يجيب: القائد الذي لا يركز المسؤوليات في شخصه، بل **يخلق من الأطفال والفتيان والشباب، كما من الرجال والنساء حتى الشيوخ قادة**. من كلماته المشهورة: "لنعطي الآخرين، خاصة الصغار الفرصة للعمل، فنحن تعلمنا في المسيح يسوع مع الزمن، فلماذا نحرم الغير من نوال الخبرة؟"

بشاشة الحب الخالص!

عُرف أبونا بيشوي ببشاشته، فببشاشته يلتقي مع الخطاة المثقلين، يرون على وجهه بابتسامته ولطفه نعمة الله الفائقة، فيمتلئون رجاءً وتعزية. ويلقون كل ثقل خطاياهم عند قدميْ المصلوب!



٩

قصص من حياة أبينا بيشوي كامل

١. حملت معه صليبه!

اعتاد أحد الشبان أن يأتي إلى أبينا القمص بيشوي كامل يشكي له همومه؛ فقد عانى كثيرًا من البطالة، وأخيرًا استأجره صاحب مصنع كان يستغله بمرارة، إذ كان يعطيه كميات ضخمة من الورق يقوم بتوصيلها على دراجة. في أحد الأيام جاءه الشاب فرحًا، يقول له: "يا أبي، لقد حملت معه صليبه!"

سأله أبونا: كيف؟

أجاب: لقد حملت الورق الثقيل على الدراجة؛ وفي نهاية شارع بورسعيد؛ إذ كان الطريق مرتفعًا، شعرت بثقل الحمل وعجزي عن السير بالدراجة. حاولت بكل الطرق، لكن بدون جدوى. فجأة وجدت نفسي ساقطًا تحت الدراجة والأوراق بثقلها تنهار عليّ!

لم يتحرك أحد في الطريق لمساندتي، فصرخت في مرارةٍ طالبًا العون الإلهي!

تلفتُّ عن اليمين وأنا مُلقى تحت أكوام الورق؛ وإذا بي أجد سيدي المسيح ساقطًا تحت صليبه، والعرق يتصبب منه. أدركت أنني أشاركه آلامه؛ ففرحت جدًا، وحسبت ذلك كرامة لا أستحقها! في فرح ناجيت سيدي شاكرًا إياه: "آه يا سيدي! هل لي أن أحمل معك صليبك؟! إنني سعيد بآلام المسيح فيّ! لقد حملت معه صليبه! لا بل حملني صليبه!

❖ إلهي حينما تقسو كل الأذرع البشرية، أجد يديك مبسوطتين بالحب لي!

حينما يضيق الطريق بي، أجدك رفيقي في الطريق الضيق، بل أصير رفيقك في طريق صليبك،

❖ تتحول مرارة الضيق إلى عذوبة الراحة فيك! نعم! إنه مجد وشرف لي لا أستحقه أن أرافقك!

لأصلب معك، فأشاركك واختبر قوة قيامتك!

❖ نعم! من يقدر أن يحمل الصليب؟ لكنني إذ انحني لأحمله أجده يحملني،

في عذوبة فائقة أدرك كلمات مخلصي: "نيري هين (عذب) وحملي خفيف!" (مت ١١: ٣٠)

لأحمل صليبك، فيحملني إلى أحضان أبيك!

❖ انحني أمام الصليب، فتلتصق نفسي بالتراب إلى حين، وتتحول حياتي الترابية إلى حياة سماوية!

صليبك عجيب، يرفعني إليك، يدخل بي إلى حضرة أبيك القدوس، يحولني كما إلى كائن سماوي!

٢. أبونا بيشوي! أبونا بيشوي!

اعتادت إحدى الفتيات في أمريكا الشمالية أن تتصل بأبينا بيشوي كامل أثناء علاجه بلندن تسأل عن صحته. بعد رحيله تعرضت في إحدى شوارع نيوجيرسي لاثنتي عشر طعنة من شابٍ، نُقلت على أثرها إلى المستشفى في حالة خطيرة ميؤوس منها. إذ كانت فاقدة النطق في غير وعيها كانت تتمتم: "أبونا بيشوي! أبونا بيشوي! (ماتسبنيش!)" إذ كانت تخدم مع أبينا بيشوي ديمتري بإيست برانزويك اتصل البعض به قائلين: "إنها تطلبك... تعال صلِّ لأجلها"، وبالفعل جاء يسأل عنها، وصلى لأجلها، ورشمها بالزيت المقدس!

إذ عادت إلى وعيها قالت: "أشكر إلهي الذي لم يتركني، فقد أرسل لي السيدة العذراء والبابا كيرلس وأبانا بيشوي كامل، صلوا من أجلي. وإذ تركتني السيدة العذراء وأيضًا البابا كيرلس سألت أبانا بيشوي ألاّ يتركني. كنت أناديه: "أبونا بيشوي (ماتسبنيش)". بالفعل بقي معي كل الوقت حتى النهاية!

قال أحد الجراحين الأمريكان: "لقد قمت بمعالجة الجراحات غير القاضية، أما الجراحات القاضية الميؤوس منها فلم يكن ممكنًا أن أفعل شيئًا. شعرت بيدٍ خفية كانت تعمل أثناء العملية!"

صداقات من العالم الآخر!

❖ نزلت أيها العجيب لتخلصني، وتدخل معي في صداقة فريدة!
صرت قريبًا مني، عميقًا في نفسي، أعمق من نفسي! أراك، وأسمعك، وألمس حبك!

❖ وهبتني صداقات من العالم الآخر! فتحت لي أبواب السماء فأصادق ملائكتك، وأحسب السمائيين أحباءً مخلصين.

❖ فتحت لي باب الفردوس، فأدرك أن الموت لم يحطم حب اخوتي، يصلون عني ويطلبون من أجلي، يشتهون خلاصي، وينتظرون عبوري إليهم. نعم! عجيبة هي أعمالك معنا!

٣. محتاج إلى ثلاث ساعات

في عام ١٩٨٧ بعد الانتهاء من صلاة العشية ودراسة الكتاب المقدس بِوِسْت كوفينا، كاليفورنيا، التقى بي إنسان بشوقٍ شديدٍ وهو يقول: "ألا تعرفني؟!... أنا (فلان) من كنيسة مار جرجس باسبورتنج". إذ رحبت به قال لي: "سأروي لك أول لقاء لي مع أبينا بيشوي كامل". ثم استدرج الحديث قائلاً: "التقيت به في الكنيسة وتأثرت جدًا". قلت له: "أنا محتاج أن أعترف". رحّب بي قائلاً: "ليكن الآن".

قلت: "أنا محتاج إلى ثلاث ساعات أجلسها معك لأعطيك فكرة عن حياتي، بهذا استعد لكي أعترف، بعد ذلك أفكر في التناول، حينما تشعر أن لديك ثلاث ساعات أخبرني".

قال: "ليكن الآن".

جلست بجواره وبدأت أتحدث معه عن ضعفاتي وأخطائي، وبوجهه المملوء بشاشة شعرت قد رُفعتْ عني أحمالي. كانت تعليقاته المختصرة تملأ قلبي رجاءً في المسيح مخلصي. بعد حوالي خمس دقائق لم أجد ما أقوله، إنما أحسست بشوقٍ شديدٍ للتناول. أحسست بالرجاء يملأ قلبي، فألقيت بكل ثقلي على مخلصي الصالح. بعدما ما كنت قد ظننت أنه سيحرمني من التناول لمدة طويلة، أحسست برغبته تتفق مع رغبتي أن أتناول وأعيش متهللاً بالسيد المسيح محب الخطاة ومقدِّس حياتهم. فقلت له: "هل يمكنني أن أتناول؟" أجاب: "وما المانع؟" تركته وأنا متهلل، فقد كنت أظن أن الاعتراف حمل ثقيل، ويحتاج إلى ساعات طويلة. الآن عرفت محبة مسيحي لي وغنى نعمته الفائقة. لقد فتح لي أبونا بيشوي أبواب الرجاء في المسيح، وأعطاني تدريبًا بسيطًا عشته بفرح وهكذا تغيَّرت حياتي!

- ❖ رأيتك يا مخلصي على الصليب، عرفتك يا غافر الخطايا، يا فاتح أبواب الرجاء أمامي!
- ❖ لا أعود أخاف الخطية، بك أنعم بالنصرة! أعترف لك بخطاياي، وبروحك القدوس أدخل إلى برِّك!

٤. نلتقي معًا حول المذبح

إذ سافر أبونا الحبيب إلى لوس أنجيلوس في عام ١٩٦٩ للخدمة في أمريكا، أرسل أول خطاب لي، لم يتحدث فيه عن رحلته الأولى للخدمة بهذه القارة. ولم يُشِر إلى لقاء الشعب له، ولا عن أحوالهم إذ كانوا يصلون في الكنيسة السريانية، يخدمهم كاهن سرياني تقي، مُحب لهم. إنما في خطابه الذي لا يتعدّى عشرة أسطر كتب العبارة التالية: "لقد صرنا على بُعد آلاف الأميال، لكننا نتقابل معًا حول المذبح.

هذه العبارة الصغيرة لا زالت تهزّ أعماقي، لأن أبي الحبيب كشف عن الوعد الإلهي لنا في العهد القديم وعدنا بالآتي: "هوذا الرب راكب سحابة سريعة بهية (حسب الترجمة السبعينية) وقادم إلى مصر، فترتجف أوثان مصر... في ذلك اليوم **يقدمون ذبيحة** وتقدمة وينذرون للرب نذرًا ويوفون به... مبارك شعبي مصر" (إش ١٩: ١، ٢١، ٢٥). تمم وعده لنا، فمسيحنا جاء خلال تجسده في أحشاء العذراء بكونها السحابة السريعة البهية، وباركنا إذ جعلنا أعضاء كنيسته الواحدة الوحيدة المقدسة. لم نعد بعيدًا عنه، هو في سماواته ونحن على الأرض، بل دعانا أن نكون سفراء له كما يقول الرسول بولس (٢ كو ٥: ٢٠)، حملنا على ذراعيه وانطلق بنا من مجدٍ إلى مجدٍ. وفتح أبواب الفردوس لننضم إلى خورس السمائيين، وأقام ملكوته في داخلنا كما قال لتلاميذه (لو ١٧: ٢١). وقدم لنا جسده ودمه المبذولين عنا، فصرنا لسنا بعيدين عنه ولا عن إخوتنا المؤمنين المعاصرين لنا وعن المنتقلين إلى الفردوس والقادمين في الأجيال المقبلة. لم يكن الهيكل والمذبح وذبيحة المسيح (جسده ودمه) تفارق قلبه وذهنه، بهذا حقق

العهد الجديد كلماته فينا: "لأن جسدي مأكل حق، وجسدي مشرب حق. من يأكلني فهو يحيا بي" (يو ٦: ٥٥-٥٧).

عاش أبونا بيشوي يرى في مذبح الرب شبعًا عجيبًا يملأ نفسه بالفرح. فكان يعرض كل خدمته وحياته بالشكر الدائم على المذبح المقدس. هذا هو سرّ فرحه الدائم. لهذا كان يطلب من الذين يعترفون أن يركزوا أنظارهم على عطايا الله لهم خاصة تناولهم من جسد الرب ودمه، فلا يستطيع عدو الخير أن يحطمهم ببث روح الكآبة واليأس فيهم.

٥. نعمة الله العاملة فيه

سرّ نجاح أبينا في خدمته عدم انشغاله بالمظاهر الخارجية، بل كان يهرب منها. كان يشعر أن الخدمة ليست ثمرة ذكائه وقدراته ومواهبه، بل هي ثمرة نعمة الله الخفية.

في إحدى زيارتنا معًا، سألت ربة البيت: لماذا اشتهرت كنيسة مار جرجس؟

أجابها: "أنا وأبونا (فلان) لسنا نفوق إخوتنا وآبائنا في الكنائس، لا في الوعظ ولا الألحان ولا الخدمة الخ. **إنما سرّ البركة في الكنيسة هو أننا نحب بعضنا، فحب الكهنة لبعضهم البعض يجعل نعمة الله الخفية تفيض على الكنيسة.**

أيضًا إذ أقيم اجتماع بالإسكندرية لمدة ثلاثة أيام وكان الحضور كبير للغاية، سألت أبانا: "ما رأيك في الاجتماع"؟ فكانت إجابته روحية ومملوءة حكمة. قال لي: أن هذا الاجتماع مفيد ومبارك، لكن كما اعتدنا أن نذهب من وقتٍ إلى وقتٍ آخر إلى كنيسة الشهيد مار جرجس بالمكس، ومعنا حوالي ٧٠ أو ٨٠ خادمًا نصلي معًا ونقرأ الكتاب المقدس ونأكل معًا. هذا الجو الروحي نعيشه كأسرة مملوءة حبًا، فنتعلم كثيرًا من بعضنا البعض، وننتفع ونعمة ربنا تحلّ في هذا الجو الروحي البسيط!

٦. خادم ممتاز للشباب

جاءنا خادم من الصعيد وحضر اجتماع الخدام، وكان كلما تحدث أبونا في موضوع يعترض هذا الخادم ويحاور أبانا. وقد شعرت بأن كثير من الخدام تضايقوا من هذا التصرف، لمكانة أبينا في قلوبهم. في الطريق قلت له: "ما رأيك يا أبانا في هذا الخادم؟ ألم تلاحظ أنه كثير الاعتراض والجدال؟ لقد شعرت أن كثير من الخدام كانوا متضايقين من أسلوبه". فوجئت بأبينا يقول لي: "هذا الخادم ممتاز، يصعب أن نجد مثله... أنه سيكون من أفضل خدام الشباب".

سألته: كيف؟

أجابني: "هذا الذي له قدرة على الحوار والجدال يستطيع أن يستوعب أسئلة الشباب وحواراتهم بصدر

رحب. حتمًا سيحب الشباب. لابد أن نلتقطه للخدمة وسط الشباب!"

هكذا كان فكر أبينا المتسع وقلبه المحب، يعرف كيف ينتفع بطاقات كل إنسان ومواهبه وقدراته، حتى وإن بدت هذه الطاقات ليست للبنيان.

يجب أن نحترم عقلية كل طفل وكل صبي وكل شاب وكل شيخ... لم يخلق الله إنسانًا بلا مواهب أو قدرات. عمل القائد الحي هو التنقيب عن هذه الطاقات وتوجيهها بروح الله القدوس.

٧. لمسة تكريم

في محطة الرمل بالإسكندرية إذ اعتادت المحافظة أن تطلب من بعض طلبة الثانوي أن يقوموا بدور تنظيم المرور، عبر أبونا بسيارته الطريق ورأى طالبًا من الثانوي يرتدي الزي الخاص برجال المرور. حيَّاه أبونا بيشوي بطريقة رقيقة لطيفة مع ابتسامته المعروفة. فابتهج الطالب وحيَّاه. سأله أبونا لوقا الجالس بجواره: ما هذا الذي فعلته؟

أجابه أبونا بيشوي: "أردت أن أبهجه حينما يرى كاهنًا يقدم له لمسة تكريم، فيشعر بتقديره لنفسه ويعتز بشخصيته. هذه اللمسة حتمًا تترك أثرًا على شخصيته!

هكذا كان أبونا الحبيب يُقَدِر كل نفس ويعتز بكل أحدٍ، يود أن يرى كل إنسان في العالم متهللاً وسعيدًا وناجحًا! ليتنا ننتهز كل فرصة في حياتنا لنقدم لمسات تقدير وتكريم وتوقير للآخرين مع حب صادق لهم، الأمر الذي يُفرح قلب الله.

٨. أربع درجات بسيطة خالص!

روى لنا أبونا الحبيب القمص بيشوي القصة التالية: جاء إليه طالب بالابتدائي يعترف وفي حديثه معه قال له: في هذا الأسبوع طلب منا مدرس اللغة العربية جملة عربية معينة، فاخترت آية من الإنجيل. ولما قلتها أدرك المدرس أنها من الإنجيل، فقال: "الجملة خطأ". قلت: لا، الجملة صحيحة!

المدرس: أنا المدرس، أقول لك خطأ!

الطالب: لا، هي صح، لأن إنجيلنا لا يخطئ.

غضب المدرس وسحب مني كراسة الإملاء، وعوض أن كانت الدرجة النهائية (١٠ على ١٠)، شطب رقم ١٠ ووضع رقم ٦، وهو في غضب شديد.

عندئذ سألت الطالب: ماذا فعلت؟ هل اشتكيت للناظر؟

أجاب الطالب: لا!

سألته: ألم تقل لبابا لكي يتكلم مع الناظر؟

أجاب الطالب: لا يا أبونا، أربع درجات من أجل المسيح هذه بسيطة جدًا!

٩. نحلة روحيَّة

سألني أحد الأحبَّاء: الكل يشهد بأن أبانا الحبيب القمص بيشوي كامل كان شخصيَّة فريدة، فمن أين تعلَّم الكثير ممَّا كان يمارسه ويعلِّم به؟

هنا عُدت بذاكرتي إلى فترة ما قبل سيامته كاهنًا، فقد كان أشبه بنحلة روحية، يعرف كيف يلتقط من كل زهرة رحيقًا يحوِّله في داخله إلى عسلٍ روحي له عذوبته – كان صديقًا لكل من هم حوله، ببصيرةٍ روحيَّة حكيمة يتلمَّس ما هو وراء كل إنسان من سرّ قوَّته الروحيَّة. كان يتعلم من الجميع دون أن يصير نسخة مطابقة له، بل يحتفظ بشخصيَّته ومواهبه وقدراته ليعمل روح الله القدُّوس به وفيه.

أذكر على سبيل المثال حين كان قداسة البابا شنودة الثالث أسقفًا للتعليم، في زيارة خاصة سريعة إلى الإسكندريَّة، وقد باركنا بالقدوم إلى كنيسة الشهيد مار جرجس في المساء المتأخِّر. إذ دخل نيافته الكنيسة في خطوات جادة هادئة أسرع نحو الهيكل وركع أمامه، قبَّل ستر الهيكل ثم دخل الهيكل وقبَّل المذبح ثم خرج، وقد ظهرت مخافة الرب على ملامحه، ثم سلَّمنا عليه.

همس أبونا بيشوي في أذنيّ قائلاً: "حتمًا لقد التقط نيافته هذا الطقس الورع من أحد شيوخ البريَّة".

منذ ذلك الوقت لاحظت أن أبانا صار يمارس هذا الطقس بورع كلَّما دخل أيَّة كنيسة.

هذا مثَل بسيط لشخص يهتم بنموّ حياته الروحيَّة، ملتقطًا من هذا عشقه للإنجيل، ومن ذاك تنغُّمه بالألحان، ومن ثالث قلبه الناري نحو الكرازة، ومن رابع اتِّساع قلبه بالحب نحو الكل.

إنَّه بهذا يكون قد شارك الأسقف الورع القدِّيس كبريانوس القائل بأنَّه ليس من أحد يُعلِّم ولا يحتاج أن يتعلَّم إلاَّ الله وحده. هكذا كان أبونا يتعلَّم كل يوم، ومن كل أحدٍ. إنَّه بحق نحلة روحيَّة فريدة!

١٠. شراء كنيسة مار مرقس بلوس أنجلوس

عند شراء مبنى الكنيسة عام ١٩٧٠ وقف أحد أغنياء لوس أنجلوس يقول للشعب: "أبونا بيشوي كامل إنسان ناجح في مصر، هذا لا يعني أنه يكون ناجحًا في أمريكا. ليس لديه خبرة أمريكية، سيشتري المبنى ويرجع إلى الإسكندرية، ويضعكم في موقفٍ حرج حيث لا تستطيعون دفع الأقساط".

وإذ أراد هذا الأخ أن يُثير الشعب بعدم المساهمة في جمع المبلغ المقدم (العربون) وكان قدره ٢٣٠٠٠ دولارًا، وهو مبلغ كبير جدًا في ذلك الحين. قال أبونا بيشوي للشعب: "لديّ المبلغ المُقدم، وسأقوم أنا بالتوقيع على العقد فلا يخف أحد من المسئولية".

تحمس الكثيرون واقترضوا مبالغ بأسمائهم الشخصية وقدموها لأبينا بيشوي. وفي اليوم السابق لدفع

العربون ذهب إلى البنك ثم عاد إلى المنزل وإذا به لم يجد الحافظة التي بها كل المبلغ ٢٣٠٠٠ من شيكات ومبالغ نقدية.

حاول بكل جهده يبحث في كل موضع ولم يجد لها أثرًا. وفي المساء لم يكن أمامه إلا أن يُقيم اجتماع صلاة. وفي منتصف الليل قرع شخص بابه، ولما فتحوا له وجدوا شخصًا يسأل عن أبينا بيشوي. سأله: "هل ضاع منك شيء؟" أجابه: "الحافظة". قدمها له الرجل وهو يعتذر بأنه جاء في وقت متأخر جدًا، لكنه فعل ذلك لأنه وجد بها مبلغًا كبيرًا من المال والشيكات فأدرك أن هذا المبلغ بالتأكيد له أهمية غير عادية وقد تكون عاجلة فاضطر أن يحضر في هذه الساعة المتأخرة.

شكره أبونا بيشوي، ثم قالت تاسوني أنجيل لأبينا باللغة العربية: "اسأله إن كان يطلب أية هدية مقابل هذا العمل". فوجئت بالرجل يجيبها: "أنا من باكستان وأعرف العربية، ولو أنني أطلب هدية ما كنت جئت بالحافظة، بل إني أود لو كان معي مالاً أن أساهم معكم في شراء الكنيسة!"



١٠

أين نبني الكنيسة؟

رسالة للأب الورع القس بيشوي كامل

١٩٧٤/١١/١٥



ما هو المكان الذي نختاره لبناء الكنيسة؟

يذكر التلمود أن سليمان الحكيم بنى الهيكل في مكان حددته هذه القصة. كان أخان لهما حقل، وعندما جمعا المحصول قسماه نصفين. وفي منتصف الليل قام الأخ الأكبر وقال في نفسه إن أخي صغير ومحتاج لبناء مستقبله أن يأخذ أكثر، فلآخذ من نصيبي وأضع على الكومة التي له. وفي نفس الوقت قال الصغير إن أخي محتاج أكثر مني لأجل أولاده، فلآخذ من نصيبي وأضع على الكومة التي له. وفي الصباح وجد كل واحدٍ كومته كما هي – لم ينقص ولم يزد – وتكرر هذا العمل عدة أيام، وفي إحدى الليالي تقابل الأخان وكان كل منهما حاملاً جزءًا من محصوله ليضعه على نصيب أخيه، عندئذ تعانق الأخان في حبٍ عظيم. ولما كان سليمان يبحث عن أنسب مكان لبناء الهيكل وسمع القصة قال ليس هناك مكان على الأرض يليق ببناء هيكل الله أكثر من هذا المكان!

- ✞ كنيستنا أيها الأحباء لا يمكن أن تُبنى إلاَّ حيث تتلاقى قلوب أبنائها وتذوب في الله المحبة الذي قدم ذاته ذبيحة حب لأجلنا.
- ✞ يذكر التاريخ أن شيطانًا ظهر مرة للأنبا إسحق القس مطلاً من طاقة حجرته، قائلاً له لقد صرت من أتباعنا. فلما فحص نفسه بتذللٍ أمام الله تذكر أنه ذهب إلى الكنيسة واشترك في جسد الربّ ودمه ثلاث مرات وهو متخاصم مع أحد الإخوة. وللحال ذهب إلى هذا الأخ وطلب منه الصفح ببكاءٍ وتذلل.
- ✞ لذلك تقول الكنيسة في مقدمة القداس "قبلوا بعضكم بعضًا بقبلةٍ مقدسةٍ..." أي أن الإنسان الذي لا يقف بقلبٍ صافٍ تمامًا فليخرج من الكنيسة!

المحبة – الله: لأن الله محبة (١ يو ٤: ٨، ١٦)

كثيرون بجهلٍ لا يدركون قيمة المحبة – الجوهرة الثمينة – هؤلاء يهملونها وبسهولة يفقدونها. الإنسان الجاهل المسكين يفقد المحبة (الله) من أجل سبب تافه، من أجل فلان لأنه أخطأ في حقه؛ أو فلان لأنه قال عنه كذا وكذا؛ أو فلان لأنه أهمل في الواجب نحوه ... ربي يسوع: أعاهدك يا إلهي أن أحب كل إنسانٍ ولا أكره أحدًا أبدًا مهما كان السبب، لأني لا أريد أن أفقدك، آمين.

المحبة لا تسقط أبدًا

المحبة لا تُغلب أبدًا مهما كانت الظروف، لأن المحبة التي فينا (الله) أقوى من الشرّ الذي في العالم (١ يو ٤: ٤). المحبة تحتمل كل شيءٍ... إنها لا تُغلب أبدًا.

المحبة الساترة

- ✞ قيل عن راهبٍ قديس أنه أدان أخاه وفحص عيوبه، فظهر له المسيح تاركًا كرسيه، وقال له: "اجلس مكاني لأنك أقمت ذاتك ديانًا للناس"، فبكى الراهب، لكنه شعر أنه تعرىّ من ثوب نعمة الله... وظل يبكي نادمًا سبع سنين حتى أعاد الله له ثوبه. هل تذكر يا أخي أن كل مرة تمسك فيها سيرة أخيك تتعرى من الله؟!
- ✞ أما القديس أبو مقار فرأى بعينه راهبين يسقطان في الخطية، فلم يتكلم أو يفكر، بل سقط على وجهه في الحال وصلى لأجلهما، فسمع الآباء صوتًا يقول: "طوباك يا أبا مقار لأنك صرت مثل الله ترى عيوب الناس وتستر عليهم.
- ✞ خطية الإدانة هي أكبر خطر يهدد كنيستنا. فلنحذر النقد الكثير، فالإنسان الذي به روح الله لا يمكنه أبدًا أن ينتقد أمه [الكنيسة] بل يستر على عيوبها. ولا يمكن لعضوٍ في الكنيسة به روح المسيح أن ينتقد عضوًا آخر في جسمه. إن المسيح مجروح بخطية الخاطئ، فعندما أدين الخاطئ أوسع هذا الجرح في جسم المسيح بدلا من أن أضمده.
- ✞ الإنسان الذي يدين الآخرين نسي خطاياه وبدأ يبحث في خطايا الآخرين. ربي يسوع، أعطِ كل نفس في الكنيسة أن تفحص عيوبها فقط وتستر على غيرها.

المحبة الكارزة

- ✞ قيل عن الأنبا باخوم عندما كان ضابطًا وثنيًا أنه ذهب في كتيبة إلى مدينة إسنا، وهناك انتشر المرض في الجيش، فخرج المسيحيون ليخدموا مرضاه ... فتعجب من هذا العمل – إنها محبة المسيحيين للأعداء!
- ✞ آمن اللص اليمين بالمسيح عندما سمعه يقول: "يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون". والربّ يسوع يخدم العالم ليس بالكلام، بل بحبه وموته على الصليب عن الخطاة.
- ✞ إذًا يا إخوتي لنحب بكل القوة، والحب يعني التأني والترفق وعدم الذم، وعدم الظن بالسوء، وعدم التفاخر وعدم الغضب. والمحبة تعني الاحتمال والصبر (١ كو ١٣: ١-٨).
- ✞ لنهجم على العالم بالحب، مهما كان الجنس أو الدين، ولا نذم إنسانًا.
- ✞ لنبني كنيستنا وبيوتنا على الحب، أي على الله.
- ✞ أخيرًا لنحذر وندقق لئلا نفقد الحب، أي الله بكلمة بسيطة أو بأمرٍ تافه أو مجرد ظن سخيف. والربّ معكم، آمين.

١١

اللحظات الأخيرة في هذا العالم

سمح لي إلهي أن أتمتع باللقاء معه عند العودة من أستراليا عام ١٩٧٨م قبل نياحته بحوالي ثمانية أشهر، وكان يعاني من آلام السرطان وانتشاره في كل جسمه. أخذت الكثير من البركات بمشاعره وكلماته المباركة التي أشعر بها منذ رحيله من العالم.

قبل نياحته طلب باتضاعٍ من المتنيح القمص متى باسيلي أن يعترف. لقد كان خلاص نفسه ونقاوة قلبه لا يفارقانه في كل حياته، خاصة في الفترة الأخيرة قبل نياحته.

قبل نياحته جلست معه وكان معي أبونا ميخائيل عزيز نيح الله نفسه، فطلب منّا نحن الإثنين أن نضع أيادينا على رأسه ونقرأ التحليل، وصمم على ذلك.

لا أنسى اهتمام بعض أصدقائه الأطباء الذين اهتموا به. وإذ عرفوا أن ضغطه صار ضعيفًا ذكر الدكتور عوض قلد الرقم. قال ابونا أهذا رقم ضغط الدم، فحاول الكل أن يتجنبوا الإجابة. أما هو فانتهرهم، قائلاً: "ليس من حق أحد أن يُخفي عني حالتي، لأنها حياتي أنا، وأنا لا أخاف الموت، لكنني أتساءل لكي يزداد اهتمامي بالخروج من هذا العالم لأكون مع السيد المسيح."

كانت عيناه تتطلع إلى الصورة المعلقة بجواره والتي كان يركز أنظاره عليها، وهي صورة الصليب وقد ركعت أمامه إحدى المريمات لتستقبل الدم على منديل. لم يكن ينشغل في اللحظات الأخيرة من حياته على الأرض سوى بالمصلوب الذي يفتح الطريق لعبور المؤمنين إلى الفردوس.

وصية وداعية لأبينا الحبيب

لو أعطيت لأبينا الفرصة لتقديم وصية وداعية للشعب والكهنة، فماذا يكتب فيها؟ وماذا تكون بنودها الرئيسية؟

١. **هلموا معًا نجلس عند قدمي المصلوب:** "كالتفاح بين شجر الوعر كذلك حبيبي بين البنين، تحت ظله اشتهيت أن أجلس، وثمرته حلوة لحلقي" (نش ٢: ٣).

"لأني لم أعزم أن أعرف شيئا بينكم إلا يسوع المسيح وإياه مصلوبًا" (١ كو ٢: ٢).

"أيها الغلاطيون الأغبياء من رقاكم حتى لا تذعنوا للحق، أنتم الذين أمام عيونكم قد رُسم يسوع المسيح بينكم مصلوبًا" (غل ٣: ١).

"ناظرين إلى رئيس الإيمان ومكمله يسوع الذي من أجل السرور الموضوع أمامه احتمل الصليب

مستهينا بالخزي، فجلس في يمين عرش الله" (عب ١٢: ٢).

"وأن **يصالح به الكل لنفسه** عاملاً الصلح بدم صليبه بواسطته سواء كان ما على الأرض أم ما في السماوات" (كو ١: ٢٠).

"وأما من جهتي فحاشا لي أن أفتخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح الذي به قد صُلب العالم لي وأنا للعالم" (غل ٦: ١٤).

" من لا يحمل صليبه ويأتي ورائي، فلا يقدر أن يكون لي تلميذًا" (لو ١٤: ٢٧).

"إن أراد أحد ان يأتي ورائي، فلينكر نفسه، ويحمل صليبه كل يوم ويتبعني" (لو ٩: ٢٣). "فإن كلمة الصليب عند الهالكين جهالة، وأما عندنا نحن المخلصين فهي قوة الله" (١ كو ١: ١٨).

٢. **لنرفع أنظارنا معًا إلى السماء**: "وأقامنا معه وأجلسنا معه في السماويات في المسيح يسوع" (أف ٢: ٦) "وأما البرّ الذي بالإيمان فيقول هكذا: لا تقل في قلبك من يصعد إلى السماء، أي ليُحدر المسيح" (رو ١٠: ٦).

٣. **ليلتهب قلبنا بالسلوك بإنجيل المسيح والعبادة بالروح والشهادة لله:** "الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي ان يسجدوا" (يو ٤: ٢٤).

"والآن ها أنا اذهب إلى أورشليم مُقيدا بالروح لا أعلم ماذا يصادفني هناك" (أع ٢٠: ٢٢).

"لأننا نحن الختان الذين نعبد الله بالروح ونفتخر في المسيح يسوع ولا نتكل على الجسد" (في ٣: ٣).

"وإنما أقول أسلكوا بالروح فلا تكملوا شهوة الجسد" (غل ٥: ١٦).

"إن كنا نعيش بالروح، فلنسلك أيضا بحسب الروح" (غل ٥: ٢٥).

"فما هو إذًا، أصلي بالروح، وأصلي بالذهن أيضًا، أرتل بالروح، وأرتل بالذهن أيضًا" (١ كو ١٤: ١٥).

"ونحن لم نأخذ روح العالم، بل الروح الذي من الله، لنعرف الأشياء الموهوبة لنا من الله، التي نتكلم بها أيضًا لا بأقوال تعلمها حكمة إنسانية، بل بما يعلمه الروح القدس، قارنين الروحيات بالروحيات" (١ كو ٢: ١٢-١٣).

المحتويات

الكنيسة القبطية الأرثوذكسية
Coptic Orthodox Church
دراسات كتابية وآبائية
Biblical and Patristic Studies

تسجيلنا لبعض سلوكيات وأفكار آبائنا وإخوتنا المعاصرين لنا، لا يهدف إلى دعوتهم قديسين، فهذا ليس من تخصصنا، وإنما لكي ندرك أنٍ السلوك في المسيح يسوع ليس مستحيلاً في عصرنا، كما في العصور المقبلة.

فما سجلته عن أبينا الحبيب غايته الأولى والأخيرة أن نسلك نحن في المسيح يسوع، لنكشف عن بركة عمل المسيح في حياته وأيضاً نطلب صلواته عنا في الفردوس، ونشتهي أن يكون لنا نصيب معه!

القمص تادرس يعقوب ملطي

رسم وتصميم الغلاف
م.د. مينا أنطون